كتاب «النبذة» للشيخ أبى النصر الطرازى
وبعض مناهج كتّاب السيرة من الأوربيين

للأستاذ الدكتور/ أحمد السعيد سليمان

محمد رسول الله، وفخر الكائنات، وسيّد الأنام، وإمام الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، اختصه الله بكلمته الأخيرة إلى الناس كافة، وهو ــ صلى الله عليه وسلم ــ الإنسان الكامل، وأقرب الخلق إلى الله، له معه سبحانه وتعالى أوقات لا يسعه فيها ملكٌ مقرب ولا نبى مرسل.

وهو صلى الله عليه وسلم، إلى منزلته عند الله، أشهرُ رجل فى دنيا الناس، فما زالت الكتب تصدر عنه فى أرجاء العالم، وما زالت أحاديثه الشريفة تُروى، وتُحفظ، وتُرتّب وتُطبع من لدن انتقل إلى الرفيق الأعلى إلى الآن وإلى آخر الزمان.

نقل العلامة السيد سليمان الندوى عن مجلة المتقبس التى كانت تصدر فى دمشق قبل نحو أربعين عاما أنّ عدد ما صنّف فى السيرة النبوية بمختلف اللغات الأوربية بلغ نحو ثلاثمائة وألف كتاب. ثم قال: «ولو أضفنا إلى هذا العدد ما صدر من المطابع الأوربية فى السيرة النبوية خلال الأربعين سنةً بعد ذلك الإحصاء الذى نشرته المقتبس لأربى على ذلك كثيراً(١).

وهذه الاحصائية التى نقلها العلامة الندوى خاصةٌ بما أفرد للسيرة من المصنفات، لم تدخل فيها المقالات ولا الأبحاث القصار، ولا ما ضُمّن فى

---

(١) انظر د. فاروق حمادة: مصادر السيرة النبوية، دار الثقافة،الدار البيضاء ص ٢٠.

الألمانى هردر (١٧٤٤ ــ ١٨٠٣)، وما إن طبّق هذا المنهج التاريخ حتى خفّت حدة الحملة على الإسلام ونبيّه صلى الله عليه وسلم.

وكانت محاضرة كارلايل التى ألقاها عن محمد صلى الله عليه وسلم فى يوم الجمعة لثمان خلون من مايو سنة ١٨٤٠ باكورة هذا الانتاج الموضوعى فقد قرّر كارلايل أن رجلاً يتولى هداية ثمانين ومائة مليون من البشر طوال اثنى عشر قرنا لا يمكن أن يكون مزيفا.

وكان الجيل الذى تلا كارلايل أكثر اطلاعاً على كتب السيرة فتلافى بعض أوجه النقص فى كلمة كارلايل، وكان على رأس هذا الجيل ج. ديفينبورت المذكور آنفا فقد دحض ما قيل فى محمد صلى الله عليه وسلم من الإفك والبهتان وجلّى جمال السيرة النبوية وعظّم شأن القرآن المجيد وتحدث عما فيه من روائع أخلاقية.

ولقد كان ديفينبورت من الوضوح والحماس بحيث أوغر صدور أعداء الإسلام فأخفوا هذا الكتاب، فلولا أن طبعه المسلمون فى الهند ملخصا ولولا أن قيض الله له رجلاً من الترك ذا دين وغيرةٍ وثراء هو المرحوم أسعد فؤاد بك فاشترى نسختين كلّفتاه عدداً من الرحلات التنقيبية إلى أوربا، لولا هذا كله ما ترجم الكتاب(١) ولطواه النسيان.

ولكن المنهج العلمى الذى يؤدى إلى الحق، يمكن أن يلتوى فى يد الباحث المتعصب أو الجاهل أو الحاقد فيجانب الصواب ويُضل القارئ.

وآخر ما وصلنا من هذا الصنف كتاب (ماهوميه) للمستشرق اليهودى الفرنسى مكسيم رودنسون أستاذ اللغة الحبشية فى السوربون.

لقد اصطنع رودنسون الاشتراكية ليروج هو وكتاباته فى قطاعات الشباب الاشتراكى فى البلاد الإسلامية. واصطنع الالحاد ووصف به نفسه

---

(١) ترجمة عمر رضا طوغرول ونشرت الترجمة مرتين قبيل الانقلاب اللغوى وكتابة التركية باللاتينية.

محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن دنكرلى ذكر هذا الانجيل بعبارة: «أنجيل برنابا، ذلك الكتاب الغريب!» فهو قد أخذ عنه واستشهد به، ثم أزرى عليه.

والحق أن أخبار عيسى عليه السلام قليلة. يقول يوحنا فى الجملة الخامسة والعشرين من الفصل الواحد والعشرين من انجيله مانصُّه: «وأشياء آخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدةً واحدةً فلستُ أظن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين».

وأبادر إلى ختام هذه الفقرة بكلمة لكاتب السيرة النبوية الإنجليزى المنصف چون ديڤينبورت (J. Devenport) قال: يمكن أن نقرر بثقةٍ تامة أنْ ليس لسيرة أى مشرِّع أوفاتح على مدى التاريخ من الموثوقية الأكيدة والتفصيل الوافى مثل ما لسيرة النبى محمد»(١).

منزلة النبذة وأهميتها:

كان المؤرخون الأوربيون الذين كتبوا عن الإسلام طوال العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث قد مردوا على قول الزور وعلى السبّ والبذاءة سواءٌ منهم رجال الدين أوالمفكرون الأحرار فمارتن لوثر مثلا حاول فى سنة ١٥٤٢ الردّ على بعض أجزاء مترجمة من القرآن الكريم فكتب فى كتابه هذه العناوين: (قرآن محمد وحشي)، (الأكاذيب فى القرآن) ثم وصف خاتم النبيين وإمام المرسلين بالزيف والحقد وعبادة الشيطان(٢).

ثم جاء ڤولتير (١٧٧٨) وهو ممثِّل التيار المعادى للدين فكتب تراجيديته المشهورة «ماهوميه» أى محمد قال فيها فى نبى الإسلام مثل قول لوثر(٣).

ولكن النصف الثانى من القرن الثامن عشر شهد مولد المدرسة التى تستهدى فى دراستها الدينية بعلم التاريخ، وهى مدرسة الفيلسوف المؤرخ

---

(١) انظر نصّ ديڤينبورت الملخص فى الهند بعنوان Mohammad Teachings of Quran طبعة ١٩٧٣، لاهور باكستان ص ١١.

(٢) انظر مقدمة عمر رضا طوغرول لترجمته التركية لكتاب ديڤينبورت، استانبول ١٩٢٨.

(٣) نفس المصدر.

أيها السادة

لم أرد أن أحزنكم، ولكن أردتُ لأعرض عليكم ما تمخض عنه فكر كاتب محنق طَمَسَ الله على بصره وبصيرته؛ وإنّ له، على كل ما سمعتم لقراءً معجبين وتلاميذ مخلصين منتشرين فى عالمنا العربى، استخفَّهم جميعا بكلمات من أمثال الاشتراكية والواقعية وحرية الفكر، ثم بكلمة لم تفقد رنينها على مدى جيلين أوثلاثة أجيال: المنهج العلمى الواقعى! لقد استغل رودنسون هذه الكلمة الأخيرة وقرع بها الطبل فى كتابه الذى تتناوله وفى كتب له أخرى فى المذاهب الاقتصادية فى الإسلام، وهو مع هذا التغنى بالمنهج كاتب غير مكتمل الأداة لا يفهم النص القرآنى ويقول إنه نص ملغز، ولا جلد له على دراسة الحديث النبوى، ويفهم الكلمات العربية بمعانى نظائرها فى اللغات السامية لا بمعانيها فى بيئتها العربية وهذا جهل بالقواعد الأساسية للمنهج العلمى.

ولننتقل الآن إلى الجانب الأبيض من الصورة إلى كتاب النبذة، إن الشيخ الطرازى صاحب هذا الكتاب مجاهدٌ كبير هاجر بدينه هجرتين، لم يمنعه عنتُ الدهر ولا خبلُ الأيام الذى أمكن قبضة الدب الروسى من وطنه تركستان أن يكتب وأن يدعو إلى الله، لا يرجوا إلا وجهه ومرضاته.

وكتابه فى السيرة رسالة حبٍّ مرفوعةٌ إلى المقام النبوى، فيها من شعر البوصيرى، وفيها من شعر المؤلف نفسه، فيها العقل المؤمن الرصين، وفيها النقل الموثَّق؛ وفيها القصد التربوى النبيل، وفيها الفقه التاريخى القادر على استخراج العبر، وتقرير السنن من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولقد كانت للشيخ الطرازى رحمه الله خبرة بغارات هؤلاء المستشرقين على الإسلام ونبىّ الإسلام، وقدرةٌ على مواجهة أباطيلهم، وهو إنما كتب النبذة فى السيرة ليستغنى الشباب المسلم عن الرجوع فى أمر دينهم ونبيِّهم إلى أقوال «الغربيين من العلماء والفلاسفة والمستشرقين».

وكان من وسائله رحمه الله فى ردّ مفترياتهم أن يذكر أقوال المنصفين من مفكرى الغرب، وقد ملأ من كتاب النبذة خمساً وثمانين صفحة باعترافات

فى مقدمة كتابه لينفى عن نفسه التعصب، وتساءل كيف يسوغ للملحد مثله أن يتناول سيرة نبى؟ وبادر إلى الإجابة فقال إن الملحد إنْ تجنّب الاحتقار والنفاق والاستعلاء استطاع أن يفهم الضمير الدينى كما يفهم الناقدُ الرسّامَ أو الرجلُ الطفلَ أو الصحيحُ السقيم.

ولكنه لم يكد ينتهى من هذه المقدمة التى كتب فيها على نفسه ألا ينافق حتى غلبت عليه يهوديتهُ فنافق وتكذّب وتملق المجتمع الكاثوليكى الذى يعيش فيه فزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم صوفى لم يتجاوز مرحلة الجذب المؤقت (extase temporaire) وهذا الجذب يخيّل لصاحبه أنواعاً من المرئيات والمسموعات، ثم أفقده البغض توازنه العقلى فقال إن السانت تريزا دافيلا (Therese d'Avila) الكاثوليكية قد تجاوزت مرحلة الجذب المؤقت بدرجات كثيرة.

وعرض بعد ذلك محاولةً لتعليل الوحى تعتمد على أقوال فرويد فى اللاوعى، ثم تعرض للقرآن الكريم فأنكر الاعجاز، بل أنكر صحة النص وقال إنّ عالم العربية «نولدكه» كتب مقالاً طويلا كشف فيه عن الأخطاء الأسلوبية فى القرآن.

وهكذا مازال رودنسون يشطح وينطح حتى سقط سقطته المدوية الحريّة بأن تفقده اعتباره فى عالم التأليف. لقد قال إن من المرجح أنّ محمداً كان يؤمن فى أول أمره بالاهه القوىّ، وبعدد آخر من الآلهة الصغار أكبر قليلا من الجن والشياطين وقال إن هذا النوع من الايمان الجامع بين الاله الكبير والآلهة الصغار يسمى هينوتيزم (Henotheisme)(١) وأنّ محمداً ــ حاشاك يا سيدى يا رسول الله ــ كان فى منزلةٍ بين الهينوتيزم والتوحيد اليهودى المسيحى (Judéo - Chretien) فالتثليث الصريح عند هذا اليهودى المتعصب توحيدٌ يهودى مسيحى و(قل هو الله أحد) نوعٌ من الهينوتيزم.

---

(١) هذه الكلمة مكونة من السابقة اليونانية Heno ومعناها «مشطى الشكل» وعلى هذا فمعنى الاصطلاح Henotheisme، التأليه المشطى أى الايمان بعدد من الالهة الصغار المتساوين كأسنان المشط؟!.

إلى المجاهد الكبير العلامة/ مبشر الطرازى
للأستاذ الدكتور/ حسين مجيب المصرى

حياتك يا مبشر فى جهاد ... خلود لن يؤول إلى نفاد
لقد أبليت ما أبليت فيها ... ونلت على المدى كل المراد
وكانت دعوة لك تبتغيها ... صلاحاً فى المعاش وفى المعاد
لئن رغب البيان القول عنها ... لما سلم اللسان من انعقاد
ولو طلب اليراع الوصف منها ... لفاض البحر بحراً من مداد
لكم ذكرت من نسيان دين ... بذاك هديت نهجاً للرشاد
وكم بينت حق مبين ... لمن قد حاد حيداً عن سداد
هززت المنبر العالى بصوت ... كأن الصور فى يوم التنادى
وما أخفيت من حق بصمت ... فما أشفقت من بطش الأعادى
شريدا لست تدرى أين تمضى ... تضل على الجبال وفى الوهاد
لك الايمان سيف رد بأساً ... وكيدا للصناديد الشداد
فأضحى نصرهم من بعد يأس ... وما من عدة أو من عتاد
فنور المؤمنين يُمد شمساً ... ونار الكافرين إلى رماد
ومن قلم يحركه بنان ... جعلت الرمح رمحاً للطراد
أتلك شبّاته أم ذا سنان ... فنَّ بقوة رب العباد
عدوك بعد أن أعيا تولى ... كذئب السوء كَلَّ عن اصطياد
توارى ليس يهدأ من عرام ... عرام ومنه غدر نار فى ازدياد
تسلل نحو بيتك فى ظلام ... ليفرسه بأنياب حداد
أذاق الشيخ مرا من حمام ... أمات حديث عهد بالولاد

عقلاء المفكرين الأوربيين بفضائل الإسلام وبمحامد نبيه وعظمته تقوية لايمان الشباب المسلم ورفعاً لهامته فى ميدان الدين رغم ما نحياه جميعاً من التنابز والتناحر وذهاب الريح.

وكان يدمغهم أيضا بنصوص التوراة والانجيل المبشرة بنبى الرحمة صلى الله عليه وسلم، وقد شغل بهذه النصوص صفحات فى مدخل النبذة.

ومن حق الشيخ الطرازى فى هذا المقام أن ننوّه بفتوى من فتاواه حلل بها نفسية رودنسون وأمثاله دون أن يقرأ رودنسون أويسمع به، قال رحمه الله «إن اليهود وإنْ أقيمت لهم دولة لا يزالون فى الذلة، لأنهم لا يقومون بأنفسهم ولكن بدعمٍ من الأقوياء».

ولا شك فى أن ما لاحظناه من احتماء رودنسون بالمسيحية وخلطه دينه اليهودى بها، بل محاولته إذابة اليهودية فى المسيحية، وكثرة ترداده لعبارة (الديانة اليهودية المسيحية) و(الاله اليهودى المسيحى) و(التوحيد اليهودى المسيحى) لا شك فى أن المراد باتباعه هذا المنهج إنما هو وقف الغرب المسيحى فى صفٍّ واحد مع اليهود ضد الإسلام وشعوبه ونبيِّه ومقدساته، ولا شك أيضا فى أنه لا يذهب إلى حدّ إذابة دينه فى دين آخر إلاّ وهو يعانى كل مركبات النقص والذلة التى لا تزال مضروبة عليهم كما أفتى الشيخ الطرازى رحمه الله.

إضمامة حول كتاب (الأخلاق فى الإسلام)
للعلامة أبى النصر مبشر الطرازى

بقلم الكاتب الكبير الأستاذ أنور الجندى

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحابته..

لقد حفلت حياة العلامة مبشر الطرازى بأعمال متعددة فى مجال الفكر الإسلامى تمثل فى مجموعها: الدعوة إلى الله وتبليغ رسالة الإسلام للعالمين، وقد أعانه على ذلك قدرته الفائقه على إستيعاب اللغات الفارسية والتركية والعربية ودراسة آدابها وقراءة ما كتب فيها.

ومن هنا جاء عمله أساساً قائماً على مفهوم أهل السنة والجماعة، وعلى الكشف عن أخطاء الفكر الغربى فى فهم الإسلام، كما أنه حرص على تقديم انجازات علماء الغرب المنصفين فى الاعتراف بفضل الإسلام.

وكان من أجل أعماله وأخطرها كتابه «كشف اللثام عن رباعيات الخيام» فى كشف المؤامرة التى دبرها التغريب والغزو الثقافى لاضافة مجموعة من الشعر الجاهلى الوثنى الذى كان معروفاً فى فارس قبل الإسلام إلى علامة من رجال العلوم الإسلامية هو «عمر الخيام» وذلك لاذاعة هذا الشعر الإباحى فى ديار المسلمين وتشويه أخلاق المسلمين.

وقد جاء كتاب «الأخلاق فى الإسلام» للعلامة الطرازى فى خاتمة حياة عريضة حافلة بالجهاد والاطلاع فى مختلف جوانب الإسلام والفكر الإسلامى.. وقد أعانه على ذلك قدرة واسعة فى قراءة كل ما كتب فى

كأن البيت كوم من حطام ... وقد عدم الاجابة من ينادى
سئمت العيش فى قوم لئام ... رحلت تطوف فى كل البلاد
مضيت ولست تعلم أين تمضى ... وريح بالوريقة فى اشتداد
وكل رضاك ما الرحمن يقضى ... وهذا وحده لك كل زاد
على مصر وفدت حللت أهلا ... تبادل أهلها صفو الوداد
وكل كان مضيافاً وخلاً ... وتسكن منه لكن فى الفؤاد
كتبت شرحت واستهديت عقلا ... وعمقت التأمل فى اجتهاد
دعوت المسلمين إلى وفاق ... وقويت الروابط باتئاد
بأسفار وأشعار رقاق ... أترغب يا مبشر فى ازدياد ؟

وكان ذلك بدون نزول أى وحى وإيجابه وفرضه من قبل الدين السماوى، وإنما هو بفطرته التى فطره الله عليها وبشعوره الإنسانى، ذلك الشعور الذى يمكن أن نصفه بأنه المنبع الأول للديانة».

ويتناول البحث عديداً من الجوانب المتصلة بالأخلاق فيتحدث عن حسن الخلق وسوء الخلق، وعن الرجاء والنهى عن سخرية قوم من جانب قوم آخر، والنهى عن سوء الظن والتجسس والغيبة، والنهى عن مفاسد الأقوال ومساوئ الأعمال، والنهى عن شهادة الزور وكتمانها، ثم يتحدث عن الحقوق الأخلاقية العامة: حق الجار، حق اليتيم.. ثم يصل إلى جانب هام من الأخلاق الإسلامية وهو خلق الجهاد فى سبيل الله.

ويفيض فى تقديم صور رائعة لجهاد السلف الصالح مبيناً أن الجندية فى الإسلام لم تكن للاعتداء، وأن المسلمين قدموا منهجاً للجهاد سمحاً كريماً حيث لم يكرهوا أحداً على الدخول فى الإسلام، ولم يتعرضوا للشيوخ والنساء والأطفال، ولم يقصدوا تخريب العمران والحضارة، ولم يقدموا على المثلة بجثث أمواتهم، وآثروا التخفيف والتيسير فى كل حكم مع المغلوبين فضلاعن الوفاء بالعهد والأمان.

وفى هذه القضية قدم عديداً من اعترافات المنصفين الأجانب الذين اعترفوا بفضل المسلمين وحسن معاملتهم لأعدائهم وفى مقدمتهم «أوجين يوغ» فى كتابه (يقظة الإسلام والعرب) و«أرثر جيلين ليونارد» و«لوترب مستر دارد» فى كتابه (حاضر العالم الإسلامى) والمؤرخ «أرنولد.. وعديد غيرهم.

ولم يتوقف العلامة الطرازى عن عرض مقومات الأخلاق الإسلامية، بل أورد مواقف تاريخية تكشف عن أخلاق عباد الله الصالحين.

ثم تحدث عن حقوق الوالدين على الأولاد فى تنشئتهم وحمايتهم، وكذلك أورد حقوق الأولاد على الوالدين.

وأفاض فى هذا الجانب حيث قدم منهجاً كاملاً لتربية الطفل منذ أن يولد إلى أن يشب على مكارم الأخلاق وحسن المعاملة.

الفارسية والتركية مما يتصل بالإسلام.. بالنسبة لرجل كان يعتبر نفسه مبلغاً للاسلام وداعية له فى كل أرض دخلها منذ انطلق من مسقط رأسه تركستان إلى أن أقام فى القاهرة، وهو مُعنى فى هذه الدراسة، كما عنى فى مختلف أبحاثه بالكشف عن عظمة الإسلام وعطائه، والمقارنة بين الفكر الربانى وبين الفكر البشرى سواء ما كان فى العصور الماضية: عصور الوثنية والتحلل، أم بالنسبة للفكر الغربى المعاصر.

وهو فى كل نقاط البحث يتوقف ليقارن ويكشف عن الفوارق العميقة بين الأخلاق الإسلامية التى جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية وبين الفكر الوضعى، ومدى اضطراب هذا الفكر وعجزه عن العطاء.

والعلامة الطرازى يؤمن بأن مبدأ الأخلاق فى الإسلام هو الإيمان بالله تبارك وتعالى وحده لا شريك له، ويرى أن الصلاة وطاعة الله تبارك وتعالى والرسول صلى الله عليه وسلم وأولى الأمر هى من المبادئ الأخلاقية الأولية التى ترتبط بها سائر الأخلاق العامة فى حياة المسلمين.

ويتناول العلامة الطرازى فى كتابه «الأخلاق فى الإسلام» ويؤيد آرائه بآيات القرآن وعديد من الحكم الإسلامية والشعر الإسلامى فى عصوره الزاهرة.

ويسجل جوانب من حياة الصحابة والتابعين فى مواقف الأخلاق الباهرة، ولا يتوقف عن الاشارة إلى اضطراب الأخلاق فى المجتمعات الغربية وفسادها وخطر ذلك على المسلمين.

ثم ينتهز كل فرصة من خلال البحث ليوصى الآباء بتربية أبنائهم منذ نعومة أظفارهم على الأخلاق من خلال القدوة.

ولأنه مبلّغ للدعوة الإسلامية.. فهو لا يترك مناسبة تمر دون أن يشير إلى حاجة البشرية إلى الدين وإلى عبادة الله الواحد الأحد فيقول فى أحد المواضع:

«إن التاريخ الصحيح البشرى يشهد أن الإنسان قبل بعثة الأنبياء والرسل كان يبحث عن خالقه ويتطلع نحو معرفته والإيمان به وعبادته كما يجب.

الشيخ مبشر الطرازى وكتاباته الفقهية

للأستاذ المستشار الدكتور فاروق عبد العليم مرسى
المحامى العام الأول باستئناف القاهرة
للأحوال الشخصية

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم.

وبعد، فقد أتيحت لى فرصة الاشتراك فى الكتابة فى ندوة سماحة الشيخ مبشر الطرازى، ولقد تعرفت على الشيخ رحمه الله تعالى من خلال كتاباته الدورية بمجلة منبر الإسلام منذ الستينات وأوائل السبعينات عرفته من كبار رجال الدعوة الإسلامية داعيا إلى الوحدة الإسلامية والاخاء الإسلامى، داعياً إلى الرجوع إلى الدين الإسلامى عقيدته، وشريعته، وأخلاقه، داعيا المسلمين إلى الأخذ بعناصر القوة كما أمرهم الله سبحانه ليدفعوا عن أنفسهم عدوان الصليبيه الغربية المستمر، وارهاب الالحاد الشيوعى الجاثم على بعض البلاد الإسلامية، وعرفته أيضا فقيها يعرض الأحكام الشرعية بصورة محببة للقلوب ــ والشيخ مبشر كان قبل ذلك قاضيا فى بلده تركستان، والقاضى الشرعى لابد أن يكون فقيها، ومن هنا وجدت أكثر من صلة بينى وبين الشيخ ــ القضاء والفقه، وكانت الكتابة عن الجانب الفقهى فى كتابات الشيخ مبشر أقرب موضوعات الندوة إلى.

وفى نفس الوقت هاجم الأخلاق الرديئة وحذر المسلمين منها وخاصة مايتعلق بشرب الخمر وتحدث عن أثر الخمر فى المجتمعات الغربية، ثم تحدث فى النهاية عن الأخلاق الواجبة على أمراء المسلمين.

وبالجملة.. فقد وفى العلامة الطرازى رحمه الله البحث حقه تماماً، بما لم يدع زيادة لمستزيد.

الفصل الأول

الدور الحالى للفقه الإسلامى

مر الفقه الإسلامى بعدة أدوار تختلف بعضها عن بعض، ولا مجال للكلام عنها تفصيلا. ويمكن أن نوجزها فى الأدوار التالية:

أولاً ـ عصر الرسالة:

وهو العصر الذى يبدأ ببعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وينتهى بلحوقه إلى الرفيق الأعلى، ومصدر الفقه فى هذا العصر الوحى بقسميه القرآن الكريم والسنة النبوية.

ثانياً ـ عصر الصحابة وكبار التابعين:

ويبدأ ببداية الخلافة الراشدة ويستمر حتى نهاية القرن الأول الهجرى. ومصدر الفقه الكتاب والسنة ثم الاجتهاد فى نطاقهما سواء كان اجتهاد اجماعيا أوفرديا.

ثالثا ـ عصر صغار التابعين ومن بعدهم حتى القرن الرابع الهجرى تقريباً:

حيث بدأت المذاهب الفقهية تظهر والانتساب إليها ينتشر والاجتهاد يسير أى أن يستقر ليكون فى فلك هذه المذاهب.

رابعاً ـ عصر التقليد:

ويبدأ من منتصف القرن الرابع الهجرى حتى بداية العصر الحالى.

وأهم ما يميز هذا الدور النداء بغلق باب الاجتهاد والتعصب المذهبى

تعريف الفقه:

الفقه فى المعنى الاصطلاحى: هو الأحكام الشرعية العملية مستنبطة من أدلتها التفصيلية. ثم تطور هذا المعنى ليصبح الأحكام الشرعية العملية، دون نظر إلى أن تكون مستنبطة من الأدلة التفصيلية أوأخذت تقليدا ورواية لأقوال الفقهاء السابقين، ومن يشتغل به أويحفظه يسمى فقيها.

والفقه نظام شامل ينظم علاقة الإنسان بخالقه، والعلاقات بين الانسان وغيره من بنى جنسه سواء كفرد مع غيره من الأفراد أوكجماعة كالدولة مع رعاياها أومع غيرها من الدول.

ولذا قسم الفقهاء الفقه إلى قسمين رئيسيين: عبادات ومعاملات. فالعبادات المقصود الأصلى منها التقرب إلى الله سبحانه وتعالى وابتغاء الثواب فى الآخرة، كالصلاة والصوم.

والمعاملات ما كان المقصود الأصلى فيها تحقيق المصالح الدنيوية، كالبيع والاجارة والعارية وغيرها.

والأحكام الشرعية كما تشتمل الأحكام العملية (الفقه) تشتمل أيضا لأحكام العقيدة، وأحكام الأخلاق.

والشيخ مبشر كتب فى الأحكام الشرعية جميعها، فكتب فى أحكام العقيدة، كما كتب فى الأخلاق وهى أكثر كتاباته فى مجلة منبر الإسلام وفى بعض كتبه الأخرى ورسائله ــ وكتب فى الفقه، كما كتب فى غير العلوم الشرعية.

وهذا البحث يقتصر على كتاباته فى الفقه.

وينقسم البحث إلى الفصول التالية:ــ

الفصل الأول: الدور الحالى للفقه الإسلامى.

الفصل الثانى: الموضوعات التى كتب فيها الشيخ مبشر.

الفصل الثالث: طريقته فى الكتابة الفقهية.

الفصل الرابع: نماذج من هذه الكتابة وبعض آرائه.

خاتمة.

التعصب لمذهب بعينه والدفاع عنه مهما كان قوله فى المسألة مجال البحث. وبذلك اختفى القول باعتبار أقوال قدامى علماء المذهب أصولا تستنبط منها الاحكام المستحدثة. وترتب على ذلك أن تغيرت الكتابات الفقهية من الشرح على المتون والشرح إلى الكتابات المبتدأة.

٢ــ الاتجاه نحو دراسة الفقه المقارن، وذلك بدراسة المذاهب المختلفة فى موضوعات الفقه وعرض أدلة كل مذهب ونقد ما يرد عليه النقد.

٣ــ الاتجاه نحو دراسة موضوعات الفقه مقارنة بالقوانين الوضعية التى تسود العالم الإسلامى بعد الاستعمار الصليبى لمعظم اجزائه وسيطرة قوانين المستعمر على البلاد الإسلامية التى استعمرت. وهدف هذه الدراسة كشف ما يتميز به الفقه الإسلامى الذى يرجع فى أصوله إلى الوحى من الله سبحانه، على القوانين الوضعية التى ظهرت مهلهلة، فاسدة ومفسدة للمجتمع الذى تسيطر عليه، وكذا دعوة الامة الإسلامية إلى أن تنهى هذا الاستعمار القانونى بعد أن أنهت الاستعمار الاستيطانى العسكرى. كما أن الاستشهاد بأقوال غير المسلمين المنصفين للفقه الإسلامى كثيرا ما ترد فى هذه الدراسات.

٤ــ تقنين أحكام الفقه الإسلامى ليسهل للسلطات الحاكمة فى البلاد الإسلامية المستعمرة أن تطبقه بديلا عن القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله تعالى.

٥ــ صدور كثير من القوانين فى بعض البلاد الإسلامية مأخوذة من الفقه الإسلامى عامة دون الوقوف عند مذهب بعينه، وأدى ذلك إلى أن يتجه القضاء فى تطبيقه لهذه القوانين إلى الرجوع إلى الفقه بمجموعة ليفسر هذه القوانين ويوضح شروط تطبيقها، فوجدت ثروة فقهية من أحكام القضاء.

٦ــ وجود اجتهاد جماعى عن طريق المجامع التى أنشأت فى بعض الدول كمجمع البحوث الإسلامية بمصر، وصدور الفتاوى والقرارات لمواجهة بعض ما استجد من معاملات.

الشديد، والوقوف فى دراسة الفقه وتدريسه عند دراسة اتباع كل مذهب لفقه المذهب الذى ينتسبون إليه ـ كما أن الاجتهاد أخذ يدور فى عبارات المتقدمين من علماء المذهب ومحاولة رفع التعارض بين عباراتهم وترجيح بعضها على الآخر أوالاستنباط من هذه العبارات. وأصبحت كتابات علماء المذاهب السابقين أصولا تستنبط منها الأحكام الحادثة.

ولسنا مع القائلين بأن تمسك العلماء فى الدور الذى تكلم عنه بقفل باب الاجتهاد كان يوافق واقع الحال، وإنما كان يعنى كما سبق القول بأن يكون الاجتهاد فى نطاق كتابات وفتاوى علماء المذاهب القدامى، والتزام علماء كل مذهب بالوقوف عند فقه مذهبهم. ذلك أنه ما من يوم تطلع شمسه إلا وتحدث أقضيه وحوادث تختلف عما حدث فى سابق يومها، ولا بد لكل قضية، ولكل حادثة من حكم شرعى. ولم نسمع ولم نقرأ أن علماء مذهب من المذاهب توقفوا عن اعطاء الأحكام الشرعية لهذه الوقائع وكانت هذه الأحكام مستحدثة، غيرمسبوقة، من العلماء الأقدمين.

والأمر لا يعدو أن يكون تحرجا من الفقهاء أن ينسبوا لأنفسهم الوصول فى علمهم إلى أمثال الاوزاعى ومالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد بن حنبل. غير أن هذا التحرج لم يكن له أثر فى الافتاء بآراء مغايرة عند تغير الأعراف أوتغير المصالح، إذا كانت الأراء السابقة قد أقيمت على الأعراف أوالمصالح.

الدور الحالى للفقه:

يتفق الفقهاء والمؤرخون للفقه أن العصر الحالى يمثل عصرا مستقلا عن عصر الجمود وهو قول صحيح، ويبدأ هذا العصر ببداية القرن الثالث عشر الهجري ويتميز الدور الحالى للفقه بالمميزات التالية:

١ـ الاتجاه نحو دراسة الفقه الإسلامى فى مجموعه مستمدا مصادره الاصلية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم واجتهادات المجتهدين فى عصور الاجتهاد المختلفة، دون التقيد بمذهب معين أوبمجتهد معين. والبحث فى الترجيح لما ترجه الأدلة ونبذ

٥ــ وتكلم عن أغلب المسائل التى تشكل مايطلق عليه حديثا (العلاقات الدولية فى الإسلام) فتكلم عن علة تشريع الحرب، والوفاء بالعهد والأمانة، والعلاقات مع الشعوب، وحق الأسير، واكرام الوفود والعدل والأخوة الإسلامية والوحدة والمساواة.

٦ــ بعض المنهيات كتحريم الخمر والربا.

ثالثاً: رسائل (كتيبات) فى الموضوعات التالية:ــ

١ــ توحيد أوائل الشهور العربية حيث أورد أصل هذه المسألة وهو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المتفق عليه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم الهلال فأكملوا عدة شعبان ثلاثين) ثم أورد الرأيين اللذين وردا فى فقه المذاهب الأربعة فى كيفية ثبوت هلال رمضان نقلا من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة. وأورد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (أحصو هلال شعبان لرمضان) وقاس على ذلك وجوب احصاء باقى شهور السنة حتى يتم احصاء شعبان صحيحاً. وخصص الشيخ مبشر باقى بحثه للرد على مؤلف لأحد القضاة بمصر ضمنه وجوب الاعتماد على الحساب الفلكى فى معرفة هلال رمضان.

٢ــ صيام رمضان كتب مقدمته المرحوم الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر فى ذلك الوقت. وقال فيها: (كتب أستاذنا الكبير العالم المجاهد الورع سماحة الشيخ مبشر الطرازى الحسينى كتابه هذا فى الصوم، وهو كتاب بذل فيه مؤلفه جهدا موفقا، وروى فيه من الآثار والسنة والأحكام الشيىء الكثير المبارك..) وقال المؤلف فى مقدمته أنه رتب عناوينه على أساس مافى آيات الصيام من النصوص والرموز والأحكام.

٣ــ إلى الجندية أيها العرب، يعرض فيه أحكام الجهاد فى الإسلام مع الدعوة إليه.

الفصل الثانى

الموضوعات الفقهية التى كتب فيها الشيخ مبشر الطرازى

إن الشيخ مبشر الطرازى نشأ وترعرع وحصل على شهاداته العلمية وزاول أعماله الوظيفية فى بلده تركستان، وكتب بالفارسية كما كتب بالعربية. وفى حدود ما اطلعت عليه من الكتابات بالعربية مما نشر بمصر فإن الشيخ كتب فى الموضوعات التالية:

أولاً مؤلف بعنوان (المرأة وحقوقها فى الإسلام) سنخصه بشيىء من التفصيل فيما بعد.

ثانياً ماتضمنه الجزء الثانى من مؤلفه (الإسلام الدين الفطرى الأبدى) من موضوعات فقهية وفيه كتب فى الموضوعات التالية:

١ــ **الصلوات الخمس:** تكلم بإيجاز عن دليل فرضيتها من الكتاب والسنة وتكلم عن الحكمة من فرضية الصلاة وفوائدها على الفرد والمجتمع، وتكلم عن حكمة سنية الجماعة فى الصلاة وحكمة الطهارة والتيمم.

٢ــ **الزكاة:** فأورد آية مصارف الزكاة الواردة فى سورة التوبة، وعرض للصدقات المالية الأخرى، وعقاب من يكنز الذهب والفضة ولا ينفقها فى سبيل الله تعالى لينتهى إلى الكلام عن حكمة الزكاة.

٣ــ **صيام رمضان:** فأورد دليل وجوبه ثم أشار إلى أصحاب الرخص فى الافطار وانتهى إلى بيان الحكمة من صومه.

٤ــ **الحج:** تكلم عنه بنفس النسق الذى تكلم به عن الصيام.

ترتيب موضوعات الكتاب:

الذى يبدو من مطالعة الكتاب أنه كان عبارة عن مقالات كتبها الشيخ رحمه الله تعالى عليه ثم جمعت، ولم يلتزم فى معظم الموضوعات ترتيبا معينا فنجده مثلا يتكلم عن حقوق الزوجة والمطلقة والمتوفى عنها زوجها(١) ثم بعد ذلك يتكلم عن الزواج وغايته والصداق(٢) وبعد ذلك يتكلم عن تحريم اتيان الحائض والنفساء(٣)، ثم ينتقل ليتكلم عن جواز النظر إلى المخطوبة(٤)، ثم يتكلم عن المحرمات من النساء وحكمة التحريم(٥)، ثم ينتقل إلى تعدد الزوجات(٦). ولو قصد المؤلف ترتيبه ترتيبا منهجيا لفعل ولكان للموضوعات ترتيب آخر.

شمول الكتاب لموضوعه:

إن الكتاب وعنوانه (المرأة وحقوقها فى الإسلام) قد جاء شاملا لموضوعه بصفة عامة، دون دخول فى فروع فقهية أوتفصيلات جزئية، أوأقضية ومشاكل معاصرة، ولذا لم نجده يتكلم عن حكم تولى المرأة الوزارة أوعضو فى المجالس النيابية أوتولى القضاء، وأن تكلم عن عدم جواز توليها الأمامه العظمى(٧)، وجواز اشتراكها فى الجهاد معاونه فى شئون الحرب والدفاع(٨).

البعد عن عرض الآراء المخالفة أوالاشارة إليها:

التزم المؤلف رحمه الله تعالى عليه ماقرره فى مقدمته أنه لن يتعرض للآراء المخالفة لا بالايراد ولا بالمناقشة والرد إذ يقول (ولا نعترض على أحد من الكتاب فى رأيه وفكرته، التى أبداها اتباعا لما انساق إليه قلمه بحريته،

---

(١) المؤلف المذكور ص ٢٦/٣٠، ٨٩ـ٩٩.
(٢) ذات الكتاب ص ١٢٥/١٢٩، ١٤٥/١٤٩.
(٣) ص ١٦٤/١٦٧.
(٤) ص ١٧٠ ـ ١٧١.
(٥) ص ١٨٧ ـ ١٨٩.
(٦) ص ١٩٠/١٩٤.
(٧) ص ١٠٤/١٠٥.
(٨) ص ١٠٩/١١٧.

رابعاً: مقالات بمجلة منبر الإسلام عن موضوعات متفرقات.

مؤلفه (المرأة وحقوقها فى الإسلام)

الكتاب يقع فى ٢٤٥ صفحة بتقديمه ومقدمته وفهرسه. حوى الكتاب ١٧٩ عنوانا لموضوعاته فلم يقسم إلى أبواب أوفصول وإنما لموضوعات.

بدأ الكتاب بالكلام عن حال المرأة فى الجاهلية والملل المعاصرة لها، ثم انتقل وعرض أحكام الإسلام فى رفع شأن المرأة وهى بنت وهى زوجة وحقوقها فى أحوالها المختلفة وبيّن إلى أى حد وصل إليه أمر المرأة المسلمة وهى زوجة وهى أم. ثم عقد مقارنة بين هذه المكانة العالية للمرأة المسلمة، وبين مكانة المرأة فى الغرب، حيث كانت حتى عصر قريب تباع الزوجة وتشترى وتعار لغير زوجها من الرجال. كما عرض لقوامة الرجل على المرأة وبين نطاقها وأنها أمر طبيعى تستوجبه طبيعة الحياة الزوجية، كما بين حق الرجل فى ضرب زوجته ومداه وشروطه. وانتقل إلى حقوق المرأة وهى مطلقة متكلما عن الطلاق قبل الإسلام وفى شريعة الإسلام مقررا أن الأصل فيه الحظر ولا يكون إلا لعارض يبيحه. ثم تكلم عن حقوق المرأة المتوفى عنها زوجها. وانتقل إلى دور المرأة فى المجتمع الإسلامى. وبعد ذلك تكلم عن الزواج وغايته ومقدماته والصداق. وحرية المرأة البالغة فى اختيار زوجها، والنهى عن الرهبانية فى الإسلام. وتكلم بعد ذلك عن عدم جواز اتيان الحائض والنفساء وعلة هذا النهى.

ثم تكلم عن جواز النظر إلى المخطوبة. وتعرض للزواج من الكتابيات وأبدى رأيه فى ذلك، وعرض لسياسة الغرب فى هذا الشأن. كما عرض للمحرمات من النساء ثم تكلم عن تعدد الزوجات ونقل آراء لبعض الغربيين المنصفين فى تأييد حكم الإسلام فى هذا الخصوص. وأخيرا تعرض لتعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعرض لكل زوجة من زوجاته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وسبب زواجه بها.

ثم تكلم عن تحريم الزنا وحده فى الإسلام، وختم الكتاب بموضوع حجاب المرأة وآراء الغربيين المنصفين فيه.

أولاً: الرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم يستمد الأحكام منها مباشرة، وفى هذا يقول (... نريد أن نبحث ونكتب تحت ضوء ما ينص عليه القرآن الكريم، ويرمز إليه كتاب الله العزيز، قرآن يهدى للتى هى أقوم، فى كل ما تحتاج أوتصبو إليه الأمم. نريد بحثا ينبنى على تعاليم السنة، ألا وهى الأحاديث الصحيحة التى رواها أصحاب الصحاح الستة)(١).

فهو يورد الآيات القرآنية ثم يستنبط الأحكام الشرعية منها، ثم يورد الأحاديث النبوية فى ذات الموضوع ليستنبط منها ما يؤيد ما استنبطه من الآيات القرآنية وهو فى استنباطه للأحكام الشرعية من الآيات القرآنية يرجع إلى أقوال المفسرين القدامى والمحدثين، والأحاديث التى يوردها ينسبها إلى مصدرها من كتب الصحاح أوالسنة. ثم يتبع ذلك بما قد يوجد من آثار وسير فى نفس الموضوع.

فهو وعلى نحو ما ذكرنا عن ملامح الفقه فى هذا العصر، نجد أن الفقهاء أتجهوا إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يستمدون منها الأحكام مباشرة، وهذا ما سار عليه الشيخ مبشر فى كل كتاباته الفقهية.

ثانياً: الرجوع إلى أقوال أئمة المذاهب الأربعة دون الدخول فى الخلافيات أوالفروع الفقهية، أو الأخذ برأى فقهى دون آخر. وفى هذا يقول الشيخ مبشر: (نريد بحثا يعتمد على أقوال الأئمة، أئمة المذاهب الأربعة التى يتمذهب بها العالم الإسلامى..)(٢).

وحتى عندما يتعرض لمسألة يتفق منها رأى أئمة المذاهب الأربعة على رأى، مع وجود رأى لغيرهم من الفقهاء نجده يذكر الرأيين ولا يرجح أحدهما على الآخر. من ذلك مسألة ايقاع الزوج الطلاق ثلاثا دفعة واحدة. يرى

---

(١) مقدمة كتاب المرأة وحقوقها فى الإسلام/ ٦.

(٢) مقدمة المرأة وحقوقها فى الإسلام/ ٧.

وذلك فى كتابه أورسالته أوبحثه ومقالته، لأنه هو المأجور لدى الله إن أصاب فيما كتبه وأبداه، كما هو المسئول عند الله إن أخطأ فيما رسمه وأملاه)(١).

ولا شك أن هذا النهج أفضل من عرض والرد على آراء كثيرة قيلت وتقال فى شأن حقوق المرأة، لاتستند فى معظمها إلى دليل شرعى معتبر، ولا يلتزم بعض أصحابها بالحدود الشرعية لآرائهم.

الفصل الثالث

طريقته فى الكتابة الفقهية

فى عصرنا الحاضر، وفى هذا الدور الحالى من أدوار الفقه الذى تكلمنا عنه كانت كتابات الشيخ مبشر الطرازى الفقهية، ومن ثم جاءت هذه الكتابة أنموذجا لكتابات العصر الحالى فى الفقه. وعلى صعيد الجانب السياسى، ففى هذا العصر اقتطع الالحاد الشيوعى بعض البلاد الإسلامية ومن بينها تركستان مسقط رأس الشيخ مبشر، وأشاع فيها الالحاد وفرضه قوة وقسرا، وسيطر العالم الصليبى الغربى على أجزاء أخرى من العالم الإسلامى، ثم رحل الاستعمار الاستيطانى الغربى غير أنه خلف وراءه أتباعه وذيوله ليضمن لسيطرته البقاء، خلف اسرائيل وخلف ثقافته الصليبية، وخلف سيطرة قوانينه، وخلف العصبية البغيضة حتى بين أفراد الدولة الواحدة.

والشيخ مبشر من المجاهدين وكان أحد ضحايا الالحاد الشيوعى ثم هو من كبار الدعاة للإسلام ومن أجل ذلك جال كثيرا من الدول فى سبيل الدعوة الإسلامية.

ظهر أثر هذه العوامل جميعها على كتابات الشيخ مبشر الفقهية.

ويمكن أن نوجز أهم خصائص كتاباته الفقهية فيما يأتى:—

---

(١) ص ٨.

يريد أن يوحد الصفوف ويجمع القلوب. فضلا عن أن الاختلافات الفقهية بعيدة عن أصول الأحكام الشرعية، وبعيدة عن أصول العقيدة الإسلامية واشغال المسلمين بها فى هذا العصر الحاضر، فيه ابعاد لهم عن قضيتهم الكبرى ضد الالحاد والصليبية الغربية.

وعندما تتوحد الأمة الإسلامية وتزيح عن بلادها الاستعمار بأشكاله المختلفة فلديها التراث الفقهى المذهبى تأخذ منه وترجع إليه إن احتاجت.

ثالثاً: الاكثار من الاستشهاد بآراء كثير من المفكرين والعلماء الغربيين فى أقوالهم تأييداً لبعض الأحكام الشرعية.

وعلى سبيل المثال وهو يتكلم عن فوائد الصوم الصحية يقول:
«وقال الطبيب الامريكى لمدون روبرت بارتولد: من المؤكد أن الصوم من الأمور الفعالة فى القضاء على الميكروبات كمكروب الزهرى.. وقال الطبيب المعروف فى الغرب برنار مكفادن: إن الصوم يستطيع أن يشفى كل مرض لا تستطيع أن تعالجة الوسائل الأخرى»(١).

وفى خصوص تعدد الزوجات يورد أقوالا لأربعة من المستشرقين يؤيدون حكم الإسلام فى تعدد الزوجات(٢).

وتحت عنوان اعترافات الأجانب بتعاليم الإسلام العامة يورد أقوال ثلاثة وثمانين مستشرقاً(٣).

ويرجع ذلك لأمرين هامين:
أولهما: أن الشيخ كما قلنا كان داعية على مستوى العالم الإسلامى كله، وبل كان يدعو العالم غير الإسلامى إلى الإسلام كما سبق أن قرر فى مقدمة أحد كتبه. والعالم الإسلامى تخلف فى هذا العصر عن ركب الحضارة المادية بينما تقدم الغرب فى مجال هذه الحضارة وطفر طفرات هائلة، ودائما الضعيف

---

(١) صيام رمضان/ ١٧٤.
(٢) المرأة وحقوقها فى الإسلام/ ١٩٥ ـ ١٩٨.
(٣) الإسلام الدين الفطرى الأبدى/ ٢/٢٤٢ـ٣٠٩.

أئمة المذاهب الأربعة يقررون وقوعه ثلاثا، ولكن ابن تيمية وابن القيم والشيعة يقولون بوقوعه طلقة واحدة استنادا إلى أقوال بعض الصحابة والتابعين. وقد أخذ القانون ٢٥ لسنة ١٩٢٩ بمصر بهذا الرأى. تعرض الشيخ مبشر لهذه المسألة فى الكلام عن الطلاق فقال:

«يجب أن يكون ايقاع الطلاق تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال بدفعة واحدة، وأن لا يجمع الطلاقات الثلاث.. ولا يمكن الرجعة بعد وقوع ثلاث طلقات فى دفعات (أودفعة واحدة) إلا بالتحليل»(١).

ويضيف بعد ذلك افادة مهمة هى «أن ايقاع الطلقات الثلاث بدفعة واحدة حرام، وعلى الأقل مكروه.. حتى أن فقهاء الإسلام اختلفوا فى وقوع الطلقات الثلاث بدفعة واحدة»(٢).

أما سبب عدم دخول الشيخ فى المسائل الخلافية أو الانتصار لرأى دون آخر فضلا عن أن هذا هو طابع الكتابات الفقهية العامة المعاصرة. فإن السبب الأساسى فى نظرى أن الشيخ كان داعية فى البلاد الإسلامية، وهدفه جمع كلمة المسلمين التى تفرقت شيعا واشتاتا بفعل الالحاد والاستعمار الصليبى ومؤلفات الشيخ للدعوة أكثر منها للمتخصصين فى الفقه، وهو يقرر ذلك فى بعض مؤلفاته فيقول (.. وإنما انظر إليها نظرة مبلغ إسلامى مخلص ينصف فى حق بنى نوع الانسانى ويريد له كل خير، وبهذه الارادة أؤلف كتابى هذا وأقدمه للعالم البشرى عامة، والعالم الغربى خاصة أدعو الناس إلى الدين الفطرى الأبدى»(٣). والذى يقوم بالدعوة يتعين عليه أن يبتعد عن الاختلاف فى الفروع الفقهية بقدر ما يستطيع، ولا يتسنى له ذلك إلا بايراد الاحكام استمدادا من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والأئمة المجتهدين. ويبتعد عن الدخول فى الآراء المتعددة والانتصار لرأى دون رأى، لأن ذلك يزيد من الفرقة. ثم لا فائدة منها للداعية الذى

---

(١) المرأة وحقوقها فى الإسلام/ ٨٦.

(٢) المرجع السابق/ ٨٨.

(٣) الإسلام الدين الفطرى الأبدى/ ٨.

الفصل الرابع

بعض آراء الشيخ مبشر، ونموذج لكتابته الفقهية

إن للشيخ مبشر تغمده الله تعالى برحمته آراء فى بعض المسائل لا يأخذ فيها برأى ائمة المذاهب الأربعة، وإنما يرجع فيها لقول بعض الصحابة كما يقيمها، على المصلحة، أويساير فيها أقوال الفقهاء المحدثين، أويجتهد فيها برأيه أخذا من حكمة النص الشرعى.

وسنورد بعضا من كتاباته فى هذا الخصوص بنصها بيانا لبعض الآراء وكنموذج لكتابته الفقهية:

١) كتب فى خصوص زواج المسلم بالكتابية يقول:

«وعلى أساس عدم اعتبار الكفاءة من جانب الزوجة، فإن الإسلام يبيح زواج المسلم بالكتابية (غير المسلمة) والأصل فى ذلك قول الله تعالى: (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) الآية ٥ــ من المائدة». ويضيف: «على المسلمين أن لا يفهموا هذه الاباحة تشمل كل كتابية بصورة الاطلاق لأن المراد من الكتابية فى هذا الباب ليس مطلق الكتابية وإنما المراد منها الكتابية المحصنة، وهى ذات العفة، كما هو المنصوص عليه بنص (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب) الآية...

ويمكن أن يقال بكل ثقة بأن هذا الموضوع مبنى على مصلحة المسلمين. ولهذا إذا لم يكن فى زواج المسلم بالكتابية (ولو كانت ذات عفة) أى مصلحة للأسرة المسلمة أوالمجتمع الإسلامى، لا ينبغى اتمامه(١).

---

(١) المرجع السابق/ ١٧٥.

يشده القوى والمتأخر ينبهر بالمتقدم، فايراد أقوال بعض المفكرين الغربيين له أثره على هؤلاء المنبهرين بالغرب وحضارته المادية.

أما الأمر الثانى: فإن الشيخ لما كان يتجه بدعوته للغرب لا جرم يرتكز من بين ما يرتكز عليه إلى أقوال مفكريهم فى شأن الإسلام وهو يدعو إليه، لأن هذه الأقوال لصدورها من بنى جنسهم فهى أكثر تأثيراً، وأقرب للقبول، وأشد قوة فى تأييد الدعوة.

رابعاً: إن الشيخ يكاد لا يذكر حكما شرعيا إلا ويتكلم باسهاب عما يراه حكمة لهذا الحكم الشرعى. والحكمة هى ما يترتب على تشريع الحكم من جلب مصلحة أورفع مفسدة.

فمثلا فى الكلام عن حكمة صوم رمضان أورد فوائد الصيام الدينية، وفوائدة الاجتماعية وفوائدة الصحية(١). وهكذا فى كل الكتابات.

وبيان الحكمة أمر لازم فى مجال الدعوة الإسلامية، لأنه من وسائل اقناع الناس بوجوب الالتزام بالأحكام الشرعية، ثم لغير المسلمين أكثر فائدة لاقناعهم بالمصدر الإلهى للتشريع الإسلامى، والقرآن الكريم والسنة النبوية ورد بهما الكثير من بيان حكمة الحكم الشرعى.

خامساً: عقد مقارنات أحيانا بين الأحكام الشرعية والقوانين الأجنبية(٢). والمقارنات هى من سمات الكتابات الفقهية المعاصرة كما سبق القول.

---

(١) صيام رمضان/ ١٦١ـ١٨٠.

(٢) المرأة وحقوقها فى الإسلام/ ١١٩.

تعالى (واعدوا) بحيث ينص على أن الغرض من اعداد القوة إنما هو ارهاب العدو وتخويفه، ومن المعلوم أن الارهاب يختل وينقص فى صورة اعداد القوة عن طريق الشراء، وربما لا يخاف العدو من أسلحة اشتريتها ولا سيما إذا كنت اشتريتها من مصانع العدو نفسه»(١).

خاتمة

فى ختام هذا البحث الوجيز عن كتابات الشيخ مبشر الفقهية نقول:

إن الشيخ مبشر كما ورد فى ترجمة حياته نشأ فى بيت علم شرعى فقد كان أبوه عالما مرجعا فى الفقه الحنفى، كما عين الشيخ مبشر من قبل الشعب قاضيا للشريعة الإسلامية فى مقام شيخ الإسلام بتركستان، وذلك بعد تخرجه من الجامعة واتمام دراساته العليا بجامعة بخارى بدرجة ممتاز فى العلوم النقلية والعقلية، وبعد أن عمل مدرسا للعلوم الإسلامية(٢). ثم سافر إلى كثير من البلاد الإسلامية فى مجال الدعوة. ويظهر أن الشيخ مبشر كان قد تلقى تعليمه الفقهى على المذهب الحنفى حيث لا مذهب سواه بتركستان، إلا أن الشيخ فى كتابته فى مجال الدعوة وفى كتاباته الفقهية لم يقتصر لرأى فى المذهب الحنفى، ولم يكتب عنه إلا بمقدار ما هو موافق لأغلب المذاهب الفقهية الأخرى.

وكتابات الشيخ مبشر فى الفقه تدل على أنه كان من الفقهاء الذين يقفون على قدم المساواة مع كبار فقهاء العصر الحاضر، وان شغلته الدعوة عن الفقه فلم يعن بالكتابة المتعمقة فى الفروع الفقهية والاختلافات المذهبية، أوفى الموضوعات يعرض للأدلة ويناقشها ويرجح ما يرجحه الدليل. وما سلكه الشيخ مبشر هو سلوك الداعية عندما يكتب فى الفقه.

يبذل جهده فيما يفيد دعوته، ويقرب الأحكام الشرعية للناس كافة

---

(١) إلى الجندية أيها العرب/ ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) محاضرة إجمال حالات المسلمين فى روسيا/ ١٦،

ويوضح هذا الرأى فيقول:

«لقد كتبت فيما سبق رأينا فى زواج المسلم بالكتابية بأنه أمر مباح بسبب عدم اعتبار الكفاءة من جانب الزوجة، ولكن يتحول من حكم الاباحة إلى حكم الحرمة إذا لم يكن فيه مصلحة للأسرة وللمجتمع الإسلامى، وذكرنا نبذة من التاريخ تثبت أن الزواج بالأجنبيات كان من عوامل سقوط الدولتين الأموية والعباسية»(٢).

ومن المعلوم أن الأئمة متفقون على جواز نكاح الكتابية الحرة مطلقا، إلا ماروى عن ابن عمر(٣).

٢)وكتب فى خصوص وجوب اعداد القوة المادية للجهاد:

«ولقد ذكر الله سبحانه هذه القوى المادية فى آية واحدة من القرآن المجيد بلفظ يشمل كل قوة أيا كان نوعها من قديمة وحديثة وهيدروجينية خفيفة وثقيلة، وهى قوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم). ولى فى تفسير هذه الآية رأى لم يقل به أحد من المفسرين بالصراحة، وقد ذكرته فى رسالتى الفارسية «تعليمات اسلام بعالم عسكرى» وفى كتابى الفارسى «عسكريت در اسلام» وهو أن المراد من اعداد القوة فى هذه الآية إنما هو اعداد القوة عن طريق الصناعة المستقلة وأنه هو الذى ترمز إليه الآية، مع أنه لا يفهم من ظاهرها أى مانع من اعداد القوة عن طريق الشراء من الغير بدليل أنه فرق كبير بين الاعداد المفهوم من قوله (وأعدوا) وبين الشراء، فإن الاعداد يتطلب استعمال العقل والعلم ولكن الشراء لا يتطلب ذلك وإنما هو عبارة عن المبادلة والمعارضة. ثانيا.: وفى لفظ (ما استطعتم) تلميح ورمز دقيق إلى هذا الرأى كما لا يخفى على المتأمل. ثالثا: وفى كلمة (ترهبون) دلالة صريحة على أن المراد من اعداد القوة اعدادها عن طريق الصناعة المستقلة لأن الارهاب المفهوم من كلمة (ترهبون) قد وقع فى الآية غاية الأمر باعداد القوة فى قوله

---

(٢) ذات المرجع/ ١٨١.

(٣) بداية المجتهد/ ٢/٤٤.

جولة فى فكر العلامة الطرازى

للأستاذ الدكتور/ أحمد الخولى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين.

(١)

التركستان مسقط الرأس والركيزة الفكرية ١٨٩٤ ـ ١٩٣٠م :

العلامة الطرازى حرىٌ بأن يكون له منهج فكرى خاصٌ به ذلك أن نظرة متأنية إلى تاريخه تقدم لنا الكثير عن منهجه العلمى وفكره الإسلامى.

والشيخ مبشر ـ رحمة الله عليه ـ سليل أسرة للعلم فى بيوتاتها وجود يرتبط بموقعها السياسى عبر سنين طويلة(١) ومن ثم فقد نشأ الشيخ حريصاً على العلم، ناهلا من ينابيعه المختلفة على طريقة القدامى فى تكامل المعرفة. حصَّل تعليمه أول ماحصَّل فى مدينة طراز(٢) مسقط رأسه ثم انتقل إلى طشقند(٣) ليواصل تعليمه العالى، واتجه بعد ذلك إلى بخارى ليكمل دراساته العليا فى هذه المدينة العريقة(٤).

---

(١) نصر الله مبشر الطرازى. مقدمة مثنوى يادگار زندان يا آيينهٔ جهان، ص ١ القاهرة ١٩٨٦م.

(٢) هى مدينة قديمة تقع بقرب مدينة تسمى (يه سه) شمال طشقند على ضفاف نهر يسمى باسمها (طراز) ويعرف الآن بتحريف باسم نهر تالاس. وقد عرفت بعد الإسلام باسم (اوليا آتا) كما سميت فى عهد السوفيت باسم (جمبول). وهى مدينة عريقة قاومت المغول بشدة، معجم البلدان جـ٦ ص٣٦ مادة طراز.

(٣) هى عاصمة جمهورية أوزبكستان الروسية تقع على نهر چرچق من روافد سيحون. تاريخ بخارى للرشخى ترجمة أمين عبد المجيد ونصرالله مبشر الطرازى ص٢٨ حاشية ٢ القاهرة ١٩٦٥م.

(٤) عرفت هذه المدينة باسم قبة الإسلام لما أدته من دور كبير فى خدمة الدين والحضارة.

يعرض الأحكام العامة، مؤسسة على قواعدها المستمدة من كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رحم الله تعالى الشيخ مبشر وجزاه الله خير الجزاء لقاء جهاده فى سبيل الدعوة الإسلامية بنفسه ولسانه وماله، وأدخله الله سبحانه وتعالى فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،

للتركستان فى المجلس التشريعى لشعوب روسيا فى عهد كرينسكى بعد سقوط نيقولاى عن عرشه. ثم عين قاضياً للشريعة الإسلامية وانتخب رئيساً للنظارة الدينية عام ١٩٢٦م.

بذلك حفلت حياة الطرازى بكثير من ألوان الكفاح فى سبيل مصلحة شعبه ودينه خاصة بعد تسلط الشيوعية على التركستان، وألقى به فى السجن حيناً وفى المنفى حيناً آخر حتى هاجر فى سبيل الله عام ١٩٣٠م.

وأهم السمات الفكرية للشيخ الطرازى فى هذه المرحلة:

١ ــ حفظه للقرآن الكريم فى سن صغير نتيجة ذكاء فطرى وذاكرة قوية.

٢ ــ أخذه بأسلوب العلم جلده على التحصيل.

٣ ــ تنوع مصادر دراسته من تفسير وحديث وأدب عربى وفارسى وتركى.

٤ ــ إجادته للغات التركية والفارسية والعربية.

٥ ــ ممارسته للعمل الصحفى ورئاسته للتحرير ببعض الصحف.

٦ ــ خبرته بالعمل السياسى من خلال عضويته للمجالس التشريعية وتكوينه للجمعيات السياسية.

٧ ــ توليه منصب القضاء واشرافه على النظارة الدينية فقد يسر له هذا المنصب الإنصاف فى الحكم على الأشياء.

٨ ــ اشتغاله بالتدريس فى مدينتى طراز وطشقند.

هذه السمات لا شك أنها شكلت عقلية الشيخ مبشر وجعلته يقتحم ميدان الكفاح والنضال فى سبيل دينه وشعبه عن أصالة وإيمان يدعمها طيب منبت وأصالة أسرة وتكامل معرفة.

أفغانستان الهجرة والانطلاق الفكرى ١٩٣٠ ــ ١٩٤٩م.

لم يكن الشيخ الطرازى يود أن يترك دياره مهاجراً ذات يوم. فهو شديد الإنتماء إلى دياره، راغب فى الذود عنها والموت دونها بعد أن ألمت بها محنة الإستبداد الشيوعى ولما لم يكن أمامه سوى الهجرة، اختار دياراً إسلامية

إن شاباً راغباً فى العلم بالفطرة والمكتسب يتلقاه فى مدن ثلاث لها من الأثر الزاهر فى الحضارة الإسلامية ماهو راسخ ومشهور لابد أن يتأثر تأثرا واضحاً بالمعطيات العلمية والحضارية لهذه المدن. كان ذلك ما حدث فعلا إذ أتم دراساته العليا بجامعة بخارى فى العلوم النقلية والعقلية. وتخصص فى علوم التفسير والحديث والأدب العربى على يد الشيخين برهان الدين قاضى القضاة والشيخ محمد سعيد الشامى الذى منحه مسند الحديث الشريف مقروناً بهذا البيت من الشعر(١).

أهدى ومن خير الذى أهديته سند البشير المصطفى لمبشر

كانت هذه هى نقطة الانطلاق فى حياة الشيخ مبشر، فقد لقب بعد هذه الدرجة بلقب العلامة، وشرع يكتب فى مجلتى (الإصلاح) بطشقند و(آيينه) بسمرقند(٢). ثم نُصِّب رئيساً لتحرير مجلة (الإيضاح) التى كانت تصدرها جمعية العلماء بطشقند.

وقد دفعته ممارسة العمل الصحفى إلى تكوين اتحاد للطلاب التركستانيين عام ١٩١٧م ركز على الدعوة إلى استقلال التركستان الإسلامية. وبدأ الشيخ يخطو خطواته الأولى فى العمل السياسى. وفى نفس العام عُين ممثلا

= أحمد الخولى فى الصلات بين العرب والفرس. القسم الثانى (خراسان) ص٨٦ حاشية ٢ القاهرة ١٩٨٢م.

(١) نصر الله مبشر الطرازى. مقدمة الإسلام الدين الفطرى الأبدى، ص٣ وما بعدها.

(٢) كان ذكاء العلامة الطرازى وقاداً ومثال ذلك أنه عندما حضر وفد من الدهريين برئاسة نعمت حكيم وحدد موعداً للمناظرة مرة كل أسبوع مع علماء الإسلام فى طشقند عام ١٩٢٥م- كانت المناظرات تجرى تحت رقابة الحكومة لتضييق الخناق على علماء الإسلام- حل الدور على طراز فى آوائل مايو ١٩٢٦م. ودعته الحكومة مع عدد من العلماء المسلمين المعروفين للمناظرة. فاتفق الشيخ رحمه الله معهم قبلها على الشروط التالية:

١ ـ حياد الحكومة وعدم تشجيع جانب على آخر.

٢ ـ المساواة فى الحقوق.

٣ ـ قبول المغلوب لمسلك الغالب.

وكان الشيخ مقتنعاً بأنهم الغالبون بأذن الله، وأن الشرط الثالث فى حالة قبوله يضع الحكومة فى مأزق ولما دهش رفاقه من هذا المطلب- خشية على الجانب الإسلامى فى المناظرة- أجاب الشيخ قائلاً: ألا أن حزب الله هم الغالبون وفعلاً تحقق له ما أراد، ذلك أن الوفد الحكومى رفض اللقاء بناءاً على هذه الشروط وعاد أدراجه من حيث أتى.

ولعل ابرز مايمكن أن يشار إليه بالبنان فى فكر الشيخ لدى تواجده فى أفغانستان بلورته لمسألة الوحدة الإسلامية ووجوب اتحاد المسلمين، وأنهم لن يستطيعوا للخطر مواجهة إلا بالاتحاد فيما بينهم. وهذه من أهم الأفكار التى أوقف الشيخ حياته الفكرية عليها. وإن كان اتحاد المسلمين من حيث الضرورة والأهمية لا يخفى على أحد إلا أن الأهم هو بقاؤه ركيزة فكر علماء المسلمين كما فعل الشيخ مبشر.

(٣)

مصر المستقر الفكرى والمثوى ١٩٤٩ ــ ١٩٧٧م:

مثّلت هذه الفترة فى حياة العلامة الطرازى مرحلة الاستقرار الفكرى، وحققت له ماكان يرجوه لنفسه فى عالم الفكر الإسلامى.

ومن هنا فنحن نرى انتاجه العديد، وقد كتب أغلبه فى مصر. واهم مايميز فكر الطرازى فى هذه الفترة من حياته مايلى:

١ــ التحول إلى الدعوة والتبليغ تحقيقاً لليقظة الإسلامية.

٢ ــ التركيز على الجهاد كفريضة إسلامية.

٣ ــ تقويم المفاهيم الإسلامية والإشادة بجوهر الإسلام.

٤ ــ مناداة الشباب ودعوتهم إلى التشبث بقيمهم الدينية.

٥ ــ تنوير الشباب بسيرة نبيهم المصطفى والتحذير من الغزو الفكرى الذى يتسرب إلى العالم الإسلامى، والمسلمون فى غفلة (١).

وفى القاهرة ألف كتاب (كشف اللثام عن رباعيات الخيام) وأهم مايميز فكره فى هذا الكتاب أنه اجتهد فى رفع ماعلق بالخيام من أقوال تذهب إلى أنه دهرى أحياناً وأبيقورى أحياناً أخرى إلى آخر ماذهبوا إليه (٢).

---

(١) أبو النصر مبشر الطرازى: الأخلاق فى الإسلام، القاهرة ١٩٨٧، ص٧.

(٢) أحمد الخولى: رباعيات الخيام فى مصر. مقال بمجلة الشعر. العدد الرابع ١٩٧٦.

قريبة وعريقة هى أفغانستان مسترشدا من قوله عز وجل:
«والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون» (١).

وبذلك انتقل الشيخ رحمه الله من دائرة مسقط رأسه إلى دائرة أوسع وأرحب استطاع من خلالها أن يفرغ أفكاره من خلال مؤلفات وسفرات وندوات ومقالات فى صحف شبه القارة الهندوباكستانيه. وامتدت هذه الفترة لتسع عشرة سنة أحسن فيها شعب أفغانستان المجاهد وفادته، ومنحه مليكها محمد نادر شاه الجنسية الأفغانية وعينه عضوا بالديوان الملكى والأكاديمية الأدبية ودائرة المعارف الأفغانية (٢). صحيح أن هذه فترة ثرية فى حياة شيخ مفكر ودليل ذلك أنه عندما زج به فى السجن لخمس سنوات أو مايزيد قليلا ألف مثنوى (يادگار زندان يا آيينه جهان) (٣). هذا المثنوى الذى يعد من أبرز أعمال العلامة الطرازى لما احتواه من أفكار بناءة تقوم فى أبعادها على علاج أحوال المسلمين وتعتمد مراميها على رسم صورة لخريطة العالم الإسلامى الممزقة. وإن عاب هذا المثنوى شئ فإنما يعيبه انفصال اجزائه وانعدام الوحدة الموضوعية بين موضوعاته، فجاء فى قسم منه أشبه بخواطر جالت بفكره فيما يهم الإنسان المسلم فى موائمة بين واقع الحياة وأمور الدين. وحتى لا تترك الأمور دونما حل، فالحل عند الشيخ هو تقوى الله وخشيته. وكيف لا!! ورسول الله كان أشد الناس خوفاً من ربه عز وجل (٤). والمثنوى بصفة عامة يدلك على مبدأ تكامل المعرفه عند الشيخ (٥).

---

(١) القرآن الكريم: سورة النحل: آية ٤١.
(٢) نصر الله الطرازى: مقدمة الإسلام الدين الفطرى الأبدى، ص٤.
(٣) نصر الله الطرازى: مقدمة مثنوى يا دگار زندان يا آيينهٔ جهان، ص٥.
(٤) أبو النصر مبشر الطرازى: مثنوى يا دگار زندان ص٤٦.
(٥) أنظر الجزء الخاص بالأشعار من مثنوى يا دگار زندان.

كل قسم منه ينفصل عن الآخر بالرحيل من هذه الديار إلى تلك، ولكنها مراحل قادت بعضها بعضاً دون أن تتجزأ. فالتركستان قاعدة لأفغانستان، وأفغانستان انطلاقة لمصر. ومصر هى الذروة فى هذا الخط الفكرى الناظم لإمكانات الشيخ فى التفسير والحديث والسيرة والأدب فى لغاته الإسلامية والفقه وكل ذلك يقدم للحضارة الإسلامية علاَّمة متكاملا فى المعرفة على طريقة القدامى.

وإذا تناولنا مكانة الرجل فى هذه العلوم بإختصار شديد(١) نقول على سبيل المثال:

فى علم التفسير تبدو مكانة الشيخ واضحة جلية. ذلك أن أغلب كتاباته نثرية كانت أم شعرية تأخذ قوتها من الاستشهاد بآيات القرآن الكريم. فالشيخ قوى الارتباط بكتاب الله عز وجل. وقد ساعده فى ذلك:

ا ــ حفظه للقرآن الكريم.

ب ــ قراءة التفاسير المختلفة لأهل السنه (٢)

ج ــ تمكنه من اللغة العربية لغة القرآن الكريم.

وهو لا يفتأ يؤكد بين الفقرة والفقرة أن المسلمين اعزاء بكتاب الله أذلاء بدونه. ترشداً فى ذلك بالحديث النبوى (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما، كتاب الله وسنة رسوله) (٣)

والشيخ يقيم أفكاره على آيات الله البينات وتفسيرها بل هو يربط الحدث بالآية أوتفسيرها على الأقل (٤).

---

(١) تضمنت موضوعات الندوة مكانة الشيخ فى كثير من هذه العلوم.

(٢) الشيخ سنى على مذهب أبى حنيفة وقد راج المذهب الحنفى فى ما وراء النهر رواجاً شاملاً ودافع أهل المنطقة عنه دفاعاً مجيداً أبان العصر الصفوى الذى فرض المذهب الشيعى. راجع أحمد الخولى: الدولة الصفوية تاريخها السياسى والاجتماعى، علاقاتها بالعثمانيين. القاهرة، ١٩٨١.

(٣) أبو النصر مبشر الطرازى: الإسلام الدين الفطرى الأبدى. دار الدعوة، ص٩٤.

(٤) المرجع السابق وخاصة القسم الثانى تحت عنوان «القرآن» ص٩٤ وما بعدها.

والواقع أن رجال الحضارة الإسلامية فى حاجة إلى من يرفع عنهم قسوة الأتهام وعنف النقد حفاظاً على تراث الإسلام. وما فعله الشيخ مبشر فى هذا الصدد يعتبر عملاً رائداً بكل المقاييس. وكتابه ينم عن أفكار مداها روح الإسلام الحنيف فى الدفاع عن رجاله.

وقد روى أنه لدى احتضاره سمع من يقول مناجياً ربه (اللهم إنى عرفتك على مبلغ معرفتى إياك فاغفر لى. فإن غفرانك لى وسيلتى إليك) ولما حكى ذلك للناس حكموا بدفنه فى مقابر المؤمنين وليس الملحدين كما كان يرى البعض. إننا نرى البعض يتجاسر على تجريح رجال الحضارة الإسلامية فى مناحيها المختلفة. ولو فتح هذا الباب على مصراعيه لدلف منه أصحاب الهوى والنفوس الضعيفة.

يتزايد انتاج الشيخ مبشر العلمى فى القاهرة فيؤلف لنا مؤلفات تؤكد وتدعم مايذهب إليه الكثير ألا وهو أن الحل فى الإسلام بالنسبة لكل داء يعرض للمسلمين. فيطالعنا بكتابيه الأخلاق فى الإسلام، والمرأة وحقوقها فى الإسلام. وهو فى الكتاب الأول يجعل الإسلام الركيزة التى ينبغى أن تكون فى تعليم الأخلاق يقول:

إن أول خلق من الأخلاق الإسلامية إنما هو الإيمان بالله عز وجل ثم الإيمان بوحدانيته، وأن لا إله إلا هو وحده لا شريك له. وأن القرآن كان خلق رسول الإسلام عليه السلام الذى اتصف بما فيه من الأحكام والتعاليم قولاً وعملا وذلك فى كل شأن من شئون حياته حتى أصبح اسوة حسنة لأمته «كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»(١).

(٤)

إتساق الفكر الطرازى:

ليس معنى تقسيم المنهج العلمى عند الشيخ مبشر إلى مراحل زمنية ارتبطت بإقامته فى التركستان وأفغانستان ومصر أن فكر الرجل جاء مقسماً

---

(١) القرآن الكريم: سورة آل عمران: آية ١١٠.

وللرسول الأمين فى نظر الشيخ مبشر مكانة لا تضارع قولا وفعلا فهو أعظم شخصية فى هذا الكون بين العظماء فهو الرحمة المهداه والسراج المنير عليه الصلاة والسلام. وفى باب طاعة الرسول، ألف الشيخ مبشر كتابيه (١):

١ ــ النبذة فى السيرة النبويه.

٢ ــ صلوا على النبى.

وقد حقق الشيخ مبشر فى الطاعة النبوية قوله تعالى: (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) (٢).

وعن التاريخ، فإذا كان له وثائقه وأسانيده فى اثبات الحدث التاريخى واستبيان إتجاهه ورد فعله إن ايجاباً أم سلباً. فالشيخ مبشر شاهد عيان على تاريخه جزء عزيز وغال من أمصارنا الإسلامية فى التاريخ الحديث والمعاصر.. تاريخه أربعين مليوناً من المسلمين الذين يقطنون روسيا حيث موسكو وحواليها وفى تاتارستان وباشقرد ستان وسيبريا وبلاد القرم والقوقاز وتركستان الغربية والشرقية بل هو معاصر لأحداث شارك فيها بنفسه وصنعها فى بعض الأحيان (٣).

والتاريخ لسيرة النبى عليه السلام يدخل الشيخ مبشر بصدق فى دائرة مؤرخى التاريخ الإسلامى فقد أرّخ للنبى عليه السلام من منطلق حال المسلمين المؤلم فى القرن العشرين والرغبة فى تذكيرهم بالأسوة الحسنة والقدوة الطيبة التى تقودهم إلى ما يبتغون من حياة أفضل يعيد إليهم قدراً ما من أمجادهم فى عصر الرسول والخلفاء الراشدين ذلك العصر المثالى فى تاريخ الإسلام والمسلمين.

وللشيخ مبشر مايمكن أن نطلق عليه (النظرية الإسلامية) فى علاقات

---

(١) الكتابان طبع القاهرة.

(٢) القرآن الكريم: سورة الأحزاب، آية ٢١.

(٣) راجع مقال: اجالى حالات المسلمين فى روسيا ــ للشيخ الطرازى، طبع القاهرة ص٥ وما بعدها.

وعندما يذكر لنا نبذة من أوصاف القرآن يقول: (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً)(١) ويفسر الشيخ هذه الآية بقوله إن الله عز وجل وصف كتابه (القرآن) بهذه الآية إنه يهدى العالم البشرى إلى الطريقة التى هى أصوب وأعدل إذا اتبعها فى شئون حياته الدينيه والإجتماعية والسياسية وغيرها، وأنه يبشر المؤمنين به ويعملون الصالحات تحت ضوء تعليماته بالأجر الكبير وهو الجنة(٢).

وعندما يتحدث الشيخ عن فضل الإسلام على العالم وحضه إليه يقول فى صدر حديثه: دعا الإسلام (ولا يزال يدعو) العالم البشرى نحو العلم وتحصيله والحكمة واكتسابها. فقد قال عز وجل (يؤتى الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ومايذكر إلا أولوا الألباب) ثم يسترسل ذاكراً قوله تعالى (وقل ربى زدنى علماً) ومثبتاً الأحاديث النبوية التى وردت فى هذا الصدد(٣).

وفى علم الحديث النبوى. يتبوأ الشيخ مكانة طيبة بلا شك(٤) وكتابات الشيخ تشهد بذلك نثراً وشعراً.

ولعل مايجعل المرء معجباً بالشيخ فى هذا المجال أنه يربط بين الحديث والقرآن ربطاً لا تنفصم عراه من حيث المضمون راغباً فى ذلك تقنين منهج الرسول الكريم عليه السلام فى مختلف مناهج الحياة. ولعلنا فى حاجة إلى ذلك حتى لا يبقى الحديث النبوى مجرد استشهاد فقط بقدر ماهو منهج للحياة فى الأخلاق، فى التربية، فى الأسرة وهذا الرأى يدعمه القرآن الكريم فى قوله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، وأولى الأمر منكم، فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول، إن كنتم تؤمنون بالله، واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)(٥).

---

(١) سورة الإسراء: آية ٩.
(٢) المرجع السابق، ص١٠٥.
(٣) المرجع السابق، القسم الثانى ص١٠.
(٤) راجع المبحث الأول من هذا البحث.
(٥) القرآن الكريم: سورة النساء، آية ٥٩.

الأحيان وعفواً فى أغلبها ويكفيه فخراً هذا التضلع فى اللغتين العربية والفارسية وهو من أهل التركستان حيث تسود اللغة التركية.

رحم الله العلامة الطرازى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، ونفع المسلمين بعلمه إنه نعم المولى ونعم النصير....

المسلمين الدوليه. فهو يربط بين التاريخ والفقه الإسلامى (١)، و يأخذ من الفقه ما يقوم دليلا على التاريخ. ويناقش قضايا ما زلنا أمامها حتى الآن حيرى مثال: وجوب الاتحاد الإسلامى، شرعية الحرب ضد اليهود، الاسلام يريد الصلح، الوفاء بالعهد والإيمان، وجوب الاستقلال، العلاقات مع الشعوب، الجهاد واجب المسلمين فى حفظ الأمن الخ... (٢)

وهذا المنهج التاريخى للشيخ مبشر منهج ايجابى. ذلك أنه لا يكتفى بعرض الحدث دون مشاركة أو إبداء رأى أو ايجاد حل على خلاف أولئك الذين يلجأون إلى المناقشة مكتفين بها دون السعى والاجتهاد فى ايجاد الحل. ولعل هذه من مشاكل المسلمين فى وقتنا الحالى. ومن ثم فهذا المنهج الفكرى فى معالجة القضايا الإسلامية يحسب له.

وفى الأدب شعره ونثره نجد الطرازى شاعراً بالفطرة، صقل شاعريته بالعلم المتصل يدخل فى عداد أولئك الذين يشار إليهم بالبنان بقولهم الشعر بالعربية والتركية والفارسية. وهم فى ذلك رباط أمة.

والطرازى حريص إن لم ينظم الشعر على الاستشهاد بأشعار غيره عربا أم تركا أم فرسا فى عرضه لقضاياه الفكرية وما أكثر أن نظم أو استشهد وصولا إلى ما يبتغيه من حلول.

ولسنا بصدد الحديث عن شعر الشيخ مبشر تحليلا اذ يتطلب بحثاً آخر (٣).

وعن نثر الشيخ مبشر بالعربية فقد كتبه بلغه عربية قوية على طريقة القدامى من حيث المحسنات البديعية واللفظية التى تأتى منه قصداً فى بعض

---

(١) أنظر مقال الدكتور فاروق عبد العليم مرسى فى هذه الندوة عن كتابات الشيخ مبشر فى الفقه الإسلامى.

(٢) أبو النصر مبشر الطرازى: الإسلام الدين الفطرى الأبدى، القسم الثانى، ص٥٥ وما بعدها.

(٣) انظر مقال الدكتور محمد نور الدين عبدالمنعم فى هذه الندوة بعنوان «جولة فى مثنوى يادگار زندان يا آيينهٔ جهان».

ومن هنا نرى أن منظومته كانت مرآة ينعكس فيها كل ما يجرى من حوله من أحداث جسام. وقد صرح هو فى ثنايا منظومته بأنه نظمها من أجل أن يستفيد بها المسلمون وأن تظل تذكارا للفترة التى قضاها فى السجن.

يصل عدد أبيات هذه المنظومة الى حوالى أربعة آلاف بيت نظمها فى قالب المثنوى الذى تكون فيه القافية فى جزئى البيت الواحد وتتغير بعد ذلك بتغير الأبيات، وهذا القالب هو الذى نظم فيه شعراء الفارسية منظوماتهم الطويلة التى تتناول قصص البطولة أو مسائل الأخلاق والتصوف والحب. أما الوزن الذى صيغت فيه فهو وزن الرمل، وقد ذكر الشاعر فى نهاية منظومته أنه نظمها فى وزن منظومة «مثنوى معنوى» لجلال الدين الرومى شاعر الصوفية الكبير(١).

ورغم تعدد الموضوعات التى تناولها الشاعر فى منظومته الا أن هناك خيطا يربط بين كافة هذه الموضوعات، وهو يتلخص فى توجيه النصح والارشاد للفرد المسلم ولجماعة المسلمين فى شتى بقاع الدنيا، فالسمة العامة التى تغلب عليها هى النصيحة من خلال الحديث المباشر والاستعانة ببعض القصص التى تؤيد وجهة نظر المؤلف، وهذه الطريقة نجدها فى كثير من المنظومات أو الكتب النثرية الفارسية وخاصة فى المنظومات الصوفية والأخلاقية.

وقد وضع المؤلف عناوين لكل موضوع من الموضوعات التى طرحها، ولم يترك الموضوعات تتداخل وتختلط، ويحس القارىء لهذه المنظومة بقوة إيمان ناظمها وعمق تدينه وتوكله على الله، وهذا واضح فى ثناياها، ومثال ذلك حديثه الى المناضلين المسجونين معه من أجل تحرير تركستان، ودعوته لهم بالاعتماد على الله والصبر حتى يتحقق لهم النصر.

أما عن أسلوب الشاعر فى منظومته فيتميز بالسهولة وعدم التكلف، وربما جنح شاعرنا الى هذا الأسلوب حتى تنتقل أفكاره وآراؤه الى كافة

---

(١) حمد الله ابن كتاب مثنوى بروزان مثنوى مولوى (ص٢٤٨).

مثنوى «يا دگار زندان» أو «آيينهٔ جهان»

للأستاذ الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم

استاذ اللغة الفارسية وآدابها بكلية اللغات والترجمة

جامعة الأزهر

ناظم هذا المثنوى هوالسيد مبشر خان الطرازى الحسينى(١) ينتسب الى أسرة شريفة النسب اشتهرت بالعلم والعرفان فى تركستان الغربية، وهو أحد زعماء هذه المنطقة البارزين.

بدأ شاعرنا فى نظم مثنويه فى السادس من سبتمبر عام ١٩٤٧م وانتهى منه فى الواحد والعشرين من نوفمبر ١٩٤٧، وذلك أثناء الفترة التى قضاها فى السجن فى مدينة كابول منذ عام ١٩٤٣م ولمدة خمس سنوات وشهر وثلاثة أيام، وأطلق على هذا المثنوى اسم «يادگار زندان» أو «تذكار السجن»، وكان قد أطلق سراحه قبل صيف عام ١٩٤٨م. أما اسم المنظومة الآخر وهو «آيينه جهان» فقد أطلقه سيد على أكبر شاه حسينى وكيل وزارة المعارف بولاية السند بباكستان وعضو البرلمان الباكستانى، وطلب من المؤلف أن يسجله عليها. ولهذا سميت المنظومة بهذين الاسمين معا، والملاحظ أنهما ينطبقان على مضمونها، فهى تحتوى على قسم كبير يتحدث فيه عن السجن والمسجونين من المجاهدين، ويصف ماحدث فى تلك الفترة له ولزملائه. كما أنها تحتوى فى نفس الوقت على الأحداث التى تدور فى عصر الشاعر، ويخص بالحديث كثيراً من دول العالم وخاصة العالم الإسلامى وما أصابه من فرقة وتفكك، وأخطار الشيوعية على هذه الدول.

---

(١) ولد فى مدينة طراز فى ٢٧ رجب ١٣١٤هـ (١٨٩٦/١٢/٢٠م).

ـ إن اعتمادى عليك إنما هو اعتماد على ذاتك، ومايطيب خاطرى هو آياتك.

وحالى لا تخفى عليك، والحديث عنها أو عدمه واحد بالنسبة إليك.

أما يتمه فيعنى به وفاة أمه وهو صغير، وأما فشله الذى تحدث عنه فكان نتيجة عدم حصول تركستان وبخارى على الحرية والاستقلال، وأما الغربة فهى بعده عن الوطن. وكان شاعرنا قد هاجر من تركستان وبخارى الى أفغانستان عام ١٣٤٨ هـ.

وفى مدحه للنبى (صلعم) يتناول أصله ونسبه وبعثته ونزول الوحى عليه، ويتأثر فى هذا بقول البوصيرى فى بردته.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ويـنكر الفم طعم الماء من سقم

يقول: (١)

ـ إذا أصبح الفم لا يتذوق بسبب المرض، فإن الطعام غير المقبول يصبح سائغا.

ـ واذا أصاب الرمد عين الإنسان، فإنها لا ترى ضوء الشمس الساطعة.

ويتحدث بعد ذلك عن صفات الرسول وأن الله مدحه بقوله: «وإنك لعلى خلق عظيم» (سورة القلم آية ٤) وقوله: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (الأنبياء ١٠٣) وان دينه يصلح لكل زمان ومكان، وأنه نسخ كل الأديان السابقة عليه. ويختم مدحه للنبى بقوله (٢):

ـ فتعال يا أيها المنصف الحق، واحن الرأس احترام لخاتم الأنبياء

---

(١) كردهن شد از مرضها بى مزه بى مزه در ذوق آن شد بامزه
ور رمد درچشم انسان شدپديد روشنى مهر تابان را نديد
(٢) بس بيا اى منصف متقن بيا گردنى خم كن به ختم انبيا
از صميم قلب وصدق امتساك خود بگويا مصطفى روحى فداك
يا نبى الله سلمت اليك يا رسول الله صلى الله عليك ص٨

المستويات الثقافية التى ستقرأ هذه المنظومة، وهو فى هذا يتبع الأسلوب الذى يجرى على ألسنة من يقومون بالوعظ والارشاد.

يبدأ الشاعر منظومته بشكر الله ومناجاته ومدح النبى صلى الله عليه وسلم، وهذه المقدمة عادة ماتبدأ بها المنظومات الفارسية الطويلة، يقول فى مطلع المثنوى (١):

أحمد الله الأبدى حمدا لاحد له ، وهو الحى القيوم القادر ذو الجلال.
لا يعترى ذاته أى نقص أو عيب ، ولا يخفى على علمه أى غيب.
كل صفاته فضل وكمال ، لا تشوبه شائبه أو يحيق به زوال.
لا مكان له ومنه يكون المكان ، لا زمان له ومنه يكون الزمان.

ويشير الى الله خلق كل ما فى الكون لكى يعبدوه، وأن مخلوقاته كلها مظهر لقدرته ودليل على عظمته وبرهان على وجوده وصفاته، وأن الأبصار لا تدركه وهو يدركها (٢).

ويناجى ربه، ويسوق خلال هذه المناجاة قصة يوسف وزليخا وقصة أيوب وما أصابه من بلاء، وقصة النمرود وابراهيم، وينتقل الى ليلى والمجنون، وقصة فرهاد وشيرين، ثم يتحدث عن نفسه وما أصابه من بلاء من يتم وغربة عن الوطن وسجن، وأنه راضى بكل ما يحكم الله به عليه، وأن شكواه ليست من عدم الرضا، فالله عالم بحاله ولا تخفى عليه خافية، يقول (٣):

---

(١) حمد بيحد مرخداى لايزال حى وقيوم وتوانا ذو الجلال
ذات أوراهيچ نقص وعيب نيست نزد علمش هيچ پنهان غيب نيست
هم صفاتش سربسر فضل وكمال نى مراورا شائبة شين وزوال
لا مكان ست ومكان ازوى پديد لا زمان ست وزمان ازوى دميد ص١
(٢) ديده ها ازديدار او عاجز بود درك ذاتش برهمه معجز بود ص٢
(٣) اتكا ازمن بتوبر ذات توست تسلية خاطر مرا آيات توست
حال من از علم توپوشيده نيست نزد توگفتن نگفتنها يكى است ص٤

وطنه واصطحاب ابنه نصر الله معه وسجنه فى ليلة السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنه ١٣٦٢ هـ = ١٣ حمل ١٣٢٢ هـ. ش = أول ابريل ١٩٤٣م).

ويشير الى الرضا بالقضاء والقدر وأنه خاضع لهما، وأن تقدير الله لابد أن يكون لحكمة سواء كان ما يصيب الانسان خيرا أم شرا، وحكمه نافذ على كل انسان سواء كان ملكا أو أميرا أو وزيراً أو عظيماً أو وضيعاً، فكيف يتردد الانسان قبول هذا الحكم؟ (١):

ـ حكمه نافذ على كل شخص، فكيف يجوز للانسان أن يتردد فى قبوله؟.

ـ فسواء كان الانسان امبراطوراً أو ملكاً أو أميراً، أو عظيماً أو وضيعاًأو وزيراً.

ـ فلابد أن يحنى رأسه خضوعا على أعتاب تقديره، أو أن يكون رهين أمره وتدبيره.

ولقد كان شاعرنا قدوة للمؤمنين المسجونين معه، وهو يحمد الله على حاله هذه فيقول (٢):

ـ الحمد الله لقد كنت فى زمرة المسجونين، قدوة للمؤمنين.

ورغم أنه كان فى كابول عندما قبض عليه إلا أنه يخيل إليه أنه فى موسكو وأنه بين يدى أعدائه، وأن أعدائه هم الذين احتجوا على جهاده وكفاحه من أجل وطنه واستقلاله، فأوصوا حكومة كابول بإيجاد حل لذلك فكان السجن له ولرفاقه.

ويشغل الشاعر نفسه فى السجن بالصلاة مع رفاقه أو بالحديث معهم، أو بالرد على أسئلتهم وتفسير أحلامهم كما كان يفعل سيدنا يوسف بن يعقوب

---

(١) بهر هركس حكم او نافذ بود كى تردد بركى جائز بود؟
كر شهنشاه است وياشه يا أمير يا كه است ويا يه است ويا وزير
سر خم اندر درگه تقدير اوست يا رهين امر او تدبير او ست
(٢) بودم اندر زمرهٔ زند انيان شكر لله قدوهٔ ايمانيان

ـ واهتف قائلا من صميم قلبك وصدق احساسك: يامصطفى روحى فداك

ـ يانبى الله سلمت إليك، يا رسول الله صلى الله عليك

ويتحدث عن والدى الرسول وزوجاته وآل بيته فاطمة والحسن والحسين وعن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى. ويتوسل الى الله ويدعوه أن يرحمه ويغفر له خطاياه وسهوه ونسيانه بحق المصطفى (صلعم)، وأن يحفظه من الفقر والكفر ومن التقلب والتغير والقهر ويثبت أقدامه فى طريق الخير والصواب ويحفظه من شر إبليس. ولا ينسى أن يدعو لأولاده وأهله ووطنه، ومن دعائه قوله (١):

ـ اللهم ابعد عن قلبى حب غيرك، واصقل صفحة مرآتى.

ـ وأذب جسدى وروحى فى طريق عشقك، واظهر لروحى العلاج يا الهى.

ـ واملأ قلبى بآلام عشقك، واجعل قلبى فاترا عن شئون الدنيا.

ومن الأبيات السابقة وغيرها نلاحظ النزعة الصوفية التى تسيطر على ناظم هذه المنظومة، فحديثه عن العشق الالهى يتردد فى جنباتها، ويبرز بين الحين والآخر على الرغم من أن المنظومة تتناول موضوعات مختلفة ومتعددة.

وشاعرنا كمتصوف يستخدم أقوال الصوفية فى شعره أحيانا، متأثرا بما قرأ فى هذا المجال ومن ذلك تضمينه لقولهم «من عرف نفسه فقد عرف ربه» فى أحد أبياته (٢).

بعد هذه المقدمة الطويلة والتى استغرقت أكثر من مائتى بيت يبدأ الشاعر قسما آخر من منظومته بعنوان «فى السجن» ويتحدث فى بدايته عن هجر

---

(١) صاف كن ازعشق غيرت سينه ام صيقلى ده صفحهٔ آيينه ام
درره عشقت تن وجانم گداز چارهٔ روحم نما اى چاره ساز
بهر عشقت اين دلم پر درد كن از شئون دنيوى دل سرد كن ص ١٥
(٢) ميشنا سد خالق خود اينچنين من عرف نفسه عرف ربه همين ص ٢

الكعبة ويطلب المغفرة من الله ويبكى ثم يسقط مغشيا عليه، وعندما يقترب منه يكتشف أنه الإمام زين العابدين، فيتعجب مما يفعله وهو من آل البيت وذرية النبى (صلعم) ويذكره بما قاله الله تعالى فى حقهم: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»، إلا أن الامام يرد عليه بآيـة أخرى هى قوله تعالى: «فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتسائلون، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون» (المؤمنون ١٠١، ١٠٢، ١٠٣).

ويؤيد ناظم المثنوى رأى الأمام زين العابدين ويقول: رغم أن الأصمعى أيد كلامه بآية قرآنية إلا أنه كان يقصد التخفيف عن الإمام زين العابدين، ويؤيد هذا الرأى أيضا بقصة نوح وابنه كنعان الذى رفض أن يركب السفينة مع أبيه وغرق، ووصفه القرآن بأنه عمل غير صالح، ولم ينفع نسبه فى هذا المقام. كما يؤيده أيضا بقصة ابراهيم وأبيه آزر، عندما دعا ابراهيم ربه بأن يغفر لأبيه لأنه كان من الضالين فيقول الله تعالى: «إنى حرمت الجنة على الكافرين» وهنا لا ينفع الابن أباه أيضا. ثم يعود فيشرح لنا ثلاث كلمات وردت على لسان الإمام زين العابدين من قبل وهى: التوحيد والشفاعة والرحمة.

ويعتبر التوحيد أساس ديننا وأنه يعنى نفى ماسوى الخالق واثبات ذاته، ويدعونا الى التفكير فى خلق الله، ويرى أن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمن الموحد الذى يرضى الله عنه، ويروى أن المؤمنين العصاة يطلبون الشفاعة يوم القيامة من الأنبياء والرسل كنوح وابراهيم وموسى وعيسى، إلا أن مقام الشفاعة لا يكون إلا لمحمد (صلعم) الذى تقبل شفاعته، ويختم حديثه عن الشفاعة بالتضرع وطلب الشفاعة، فيقول (١):

---

(١) میکنم یارب بنوایین التجاء — بر حضورت ابن تضرع ابن رجاء
از شفاعت تو مرا محروم مکن — نام من در محرومان مرقوم مکن
کر نباشد شافعم روز جزا — در هلاکم از جزای باسزا
کر شفاعت بهر عاصی میشود — کر شفاعت بهر جافی میشود
کر شفاعت بهر شخص شرمار — بی بضاعت هم پریشان روز کار
بس إلهـا مستحق آن منم — چون غریق بحر بس عصیان منم ص ٥٤

عليها السلام، وكان يرى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض عليه والتزام بسنة خير الأنام كما كان ينصح البعض حتى لا يضلوا الطريق.

ويصف أحوال المسجونين فيقول أنها مختلفة فبعضهم يشغل نفسه بالعبادة ليلا ونهارا، والبعض الآخر يغفل عن ذلك، وبعضهم حزين يشكو ماضيه، والبعض الآخر يعترف بذنبه، ومنهم من يعتبر نفسه بريئا، وهذا مستغرق فى التفكير وذاك مشغول بلعب الشطرنج، هذا يأخذ الفأل من القرآن، وذاك يأخذه من ديوان حافظ الشيرازى. والمسجونون جميعا رغم ماهم فيه من هم وحزن إلا أنهم يأملون جميعا فى الفرج. ويصف بعضهم بعدم الصبر والتحمل، ويرجع ذلك الى أن الإنسان بطبعه فيه شىء من الهلع والجزع إذا مسه الشر، ثم يوجه النصح لهذا النوع من الناس ويرد على شكواهم. ويتضح من كل هذا إيمانه العميق بالله عندما يرد على من أصابهم القلق على أسرهم وأولادهم وهم فى السجن، يقول (١):

ــ ان الخالق هو الكافى لأهلك وأولادك، واذا اعتبرتهم ضعفاء فهو سندهم.

ــ فالرازق يكفل الرزق لكل دابة، والعناية والرحمة من صفاته.

ــ فسلم أمرك لله، واخضع لحكمه وعظمته.

وفى هذا اشارة إلى قوله تعالى: «وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها» (هود ٦)، وقوله تعالى «فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين».

ويحلو للشاعر بين الحين والآخر أن يذكرنا بقصة يوسف، وهى تتناسب كثيرا مع وضعه فى فترة الحبس. ويروى لنا فى هذا القسم قصة الأصمعى والإمام زين العابدين، وذلك عندما رأى الأصمعى شخصا يتعلق بأستار

---

(١) أهل وأولاد ترا خالق بس است گر بدانى بى كسان را اوكس است
رزق هر جنبنده اى بر، رازق است حفظ ورحم از خصلت آن خالق است
كارخود رابر خدا تسليم كن بهر حكمش سر خم وتعظيم كن ص٢٩

ويعقب ذلك بحديث عن الدنيا وما فيها من اضطرابات وصراعات تدور فى عصره، فيذكر الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية وما جرتها على العالم من دمار وخراب، ومع ذلك فإن البشر يسعون الى حرب عالمية ثالثة، والدلائل كلها تشير الى هذا فى رأيه، ويتناول حال كل بلد من بلدان العالم بعد الحرب العالمية الثانية ويبدأ بانجلترا ويلقى باللوم على تشرشل وسياسته، ثم يتحدث عن فرنسا وأنها ستظل فى خطر طالما بقى فيها الحزب الشيوعى، ويطبق هذا الكلام على ايطاليا، أما بالنسبة للبلقان فقد خضعت للنفوذ الشيوعى، وهو دائما يحذر من خطر الشيوعية. ثم يتحدث عن اليونان وتركيا وايران، ويشير الى الأخطار التى تحدق بهذه الدول من قبل روسيا، ولكنه يذكر أن تركيا ستتمكن من دفع هذا الخطر عن نفسها لما لها من ماض عريق فى الدفاع عن الاسلام، أما ايران فنفوذ الروس فيها معروف وقد ارتبطت بمعاهدة مع روسيا، ثم فسخت هذه المعاهده عن طريق البرلمان الايرانى، وغضب السوفييت من هذا، ثم يدعو الله لكى يحفظ ملك إيران. وعندما يأتى الدور على أفغانستان يقول عنها:

ـ إن بلاد الأفغان بلاد أرضها طيبة، وأهلها من ذوى القلوب الطاهرة.

ـ فهم قوم متدينون ذوو غيرة، وهم مشهورون فى تاريخ العالم.

ـ مخلصون لأرباب الكمال، أى أنهم أهل علم وتقوى وأخلاق حميدة (١).

ويشير من خلال ذلك الى محمد نادر شاه الذى حرر تلك الديار من قبضة الانجليز، ثم يذكر الملك محمد ظاهر شاه، وأن أفغانستان ليست بعيدة

ملك أفغان سرزتين نيك خاك — آنكه دارد ملت أو قلب پاك آنكه
ملت بادين وباغيرت تمام — بين تاريخ جهانى نيكنام
ملت مخلص بأرباب كمال — يعنى أهل علم وتقوى حسن حال ص ١٠٩

ـ إننى ألجأ إليك يارب، وأتقدم إليك بتضرعى ورجائى.

ـ ألا تحرمنى من شفاعتك، ولا تسجل اسمى ضمن المحرومين.

ـ فإذا لم يكن هناك من يشفع لى يوم الحساب، فسأهلك لما استحقه من عقاب.

ـ ولو كانت الشفاعة لكل عاص، ولو كانت لكل جاف.

ـ ولو كانت لكل نادم لا بضاعة له ومضطرب الأحوال.

ـ إذن فأنا من يستحقها ياآلهى، فأنا غريق بحر العصيان.

ثم يتحدث عن الرحمن ويشير إلى الآية الكريمة: «قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم» (سورة الزمر ـ ٥٣). ثم يروى عدة أحاديث منها حديث ابن مسعود الذى رأى فقيها يعظ الناس فى المسجد ويحدث الناس عن جهنم وأهوالها فقال له: لماذا تجعل الناس يقنطون من رحمة الله؟ ثم قرأ عليهم الآية السابقة فزال الخوف من قلوب الناس وزرع الأمل فى نفوسهم.

ويتحدث عن القرآن الكريم وأنه يشتمل على كل شىء من سياسة واجتماع وعلوم، فأين منه القوانين الوضعية التى يضعها البشر، ويقول أن هناك فرقاً بطبيعة الحال بين ما ينزله الله وبين ما يضعه البشر (وضع الخالق والمخلوق)، وأن الأوربيين أخذوا ببعض أحكام الدين الاسلامى كالطلاق والصيام الذى اتخذوه وسيله لعلاج بعض الأمراض، وكذلك منع تناول المسكرات، ويذكر أن كثيرين من الأجانب من غير المسلمين شهدوا بمعجزة القرآن، وكان الطرازى قد فصل القول فى هذا الصدد فى مؤتمر عقد فى شهر ابريل عام ١٩٣٦م فى مدينة لاهور بباكستان بدعوة من الدكتور محمد اقبال شاعر باكستان وفيلسوفها العظيم، وذكر فى محاضرة له بعنوان «وجوب اتحاد اسلامى» (ضرورة الوحدة الاسلامية) اعترافات خمسة وثلاثين أجنبيا حول هذا الموضوع وقولهم بأن القرآن يصلح لكل الأمم ولكل زمان ومكان. ونشرت بحثه هذا «جمعية حماية الاسلام» (انجمن حمايت اسلام) التى كان يرأسها اقبال. ويورد الشاعر رأى برناردشو فى الاسلام وأنه سيأتى يوم يعتنق فيه الغرب هذا الدين.

ويتحدث عن الصين والنفوذ الشيوعى الذى تسلل إليها، وأنها ستقع فريسة له لا محالة فى النهاية. ويعود فيرجع كل ماحدث فى تلك البلدان من اضطرابات وفوضى ومذابح إلى الشيوعيين، ويدلل على صدق قوله بدليل عايشه هو وقاسى منه وهو ماحدث فى بلاده تركستان. ويصف هذه البلاد بأنها كانت موطنا للعلم والعلماء من مفسرين ومحدثين وعلماء فى الفقه والكلام، كما أن أهلها يتصفون بعزة النفس والتقوى والكرم، ويحس القارىء هنا وفى هذا الجزء بالذات نبرة الحزن والألم التى تسيطر على الشاعر نتيجة ضياع هذا الوطن وخضوعه للاحتلال الروسى. ويتناول أقسام هذه البلاد فيتحدث عن فرغانه وبخارى وخيوه، ومقاومة أهلها فى مواجهة المستعمر الروسى الغاصب، إذ تم الاستيلاء على خيوه عام ١٩٢٠م وعلى بخارى عام ١٩٢١م.

ويذكر بعد ذلك جهاد شعب التركستان وفشله فى مواجهة الشيوعيين الروس، ويعدد أسماء أبطالهم وقوادهم مثل أنور باشا قائد المجاهدين فى بخارى الذى استشهد فى ٥ أغسطس ١٩٢٢م، وبهرام بيك قائد المجاهدين فى سمرقند الذى استشهد فى عام ١٩٢١م، وقور باشى ايرگش قائد المجاهدين فى خوقند مركز فرغانه الذى استشهد عام ١٩٢٠م، وكان يلقب بأمير المسلمين، وأمين بيك قائد المجاهدين فى مرغنان ونواحيها والذى استشهد عام ١٩٢٠م أيضا.

والشاعر لا يفقد الأمل مطلقا، فهو يأمل أن يأتى اليوم الذى تتحرر فيه هذه المناطق وتعود الى حظيرة الاسلام من جديد، يقول(١):

ـ إذا كانت ظلمة الليل قد طالت، فسيشرق الفجر من جديد ويعود الضياء.

---

(١) كرچه تاريكى شب گشته دراز صبح دم خواهد دميد وگشت باز ص ٣١٨

عن أطماع الروسية، وأن روسيا تتربص بها دائما لأنها عدوة للاسلام والمسلمين يقول (١):

ـ هى ليست بعيدة عن الأطماع الروسية، وهذه الحقيقة لا تخفى على أحد.

ـ فالروس يتربصون بها فى كل لحظة وحين، لأنهم أعداء الاسلام وخصوم المسلمين.

ـ وهم جيران السوء فى كل زمان، ولا يوفون بعهدهم ولا بمواثيقهم.

ـ ويسعون لتحقيق أغراضهم الدنيئة، ولا يصدر عن الأشرار إلا كل شر.

ـ خاصة من أتباع الالحاد، فكيف يكون حسن الجوار مع الأشرار؟.

ثم يدعو الله لكى يحفظ تلك البلاد، فيقول (٢):

ـ يارب بحق جاه محمد المصطفى، وحق آله وصحابته الطاهرين.

ـ احفظ هذه الديار وهذه البلاد، من دسائس الروس المشئومة ومكرهم وغدرهم.

ـ واجعل هذه البلاد حرة إلى يوم القيامة، واجعل الدين والدنيا عامرين فيها.

---

(١) البك از أطماع روسى دور نيست — اين حقيقت از نظر مستور نيست
روس باشد هردم از وى در كمين — دشمن اسلام وخصم مسلمين
همجوار بد بود در هر زمان — بى وفادر وعده وعهد وامان
أو بود هر دم بى أغراض بد — بر نيابد از بدان جز كاربد
بالخصوص از پيروان ملحدى — كى بود همسايگى غيراز بدى؟ ص ١١٠

(٢) يا رب از جاه محمد مصطفى — حق آل وحق صحب باصفا
حفظ فرما اين ديار ومرز بوم — ازد سيسه ومكر وغدر روس شوم
تا قيامت اين زمين آزاد باد — دين ودنيا اندر ان آباد باد

الأوقاف فى يد طائفة فاسدة، وأغلقوا دار القضاء وأصبح سكان تلك البلاد خاضعين للقوانين الروسية. ثم يصف أحوال أهل تركستان وما أصابهم على يد الروس، فمنهم من أدخل السجن، ومنهم من قضى عليه، ومنهم من فر هارباً وترك دياره، وهو يحسن تصوير من يهجر وطنه وما يصيبه فى الغربة عندما يقول: (١)

ـ من الأفضل أن تكون فى وطنك حتى لو كنت شحاذاً ولست ملكاً.
ـ وكيف يكون الإنسان ملكاً سعيداً وهو فى الغربة.
ـ وكيف يرضى بالغربة عن طيب خاطر، من ترك قومه وأهله وديارة؟.

ويصف بعد ذلك تفرق مهاجرى تركستان فى الدنيا، فمنهم من ذهب إلى أفغانستان ومنهم من ذهب إلى السعودية، ويذكر الملك عبد العزيز ملك السعودية ومدى حفاوته بهم وبه هو شخصياً عندما ألتقى به عام ١٣٥٠هـ فى القصر الملكى وكذلك ولى عهده فى ذلك الوقت سعود، كما انتشروا أيضا فى تركيا وإيران وباكستان والهند ومصر والشام والعراق والأردن وأمريكا وأوروبا.

وهو يحذر العالم من خطر انتشار الشيوعية، ويصف كيف وقعت أوروبا الشرقية كلها تحت تأثير هذا الوباء، ويصف الشيوعية بأنها كالميكروب أو الكوليرا التى تنتقل من مكان إلى مكان دون أن تجد التطعيم الواقى والدواء الناجح لها، ويصف موقف أمريكا الضعيف فى مقابل انتشار هذا الوباء، ويجعل من القرن العشرين انساناً يبكى على ضحايا هذه الآفة، يقول: (٢)

---

(١) به بود در وی گدایی از شهی ... شه بغربت کی بود اندر بهی؟
کی شود راضی بغربت آشکار ... ترك داده قوم وملت در دیار؟

(٢) قرن بیستم این عجوز پر محن ... بر درید از مصیبت بپر هن
بر سرش بنشسته از افسوس وسوز ... گریه خواهد کرد شبها یاکه روز
لیك خواهد رفت اشکش بر هدر ... مرده از گریه نیاید سوی در
شاید اندر این مثالم ای جوان ... درك کردی این خطر رادر جهان ص ١٣٧

ويصف الشيوعية فيقول (١) :

ـ إن الشيوعية أسوأ نظام فى العالم، ولا يخفى قبحها على عاقل فطن.

ـ فمعتنقها ينكر الله، وينكر الوحى ورسول الله.

ويصف حال من يخالف هذا المذهب، فهو إما أن يقضى عليه أو يفر هارباً من دياره. ويذكر ما حدث لبلاده بعد الاحتلال الروسى: فلا حرية للصحافة والنشر، ولا حرية للفكر، ولا طباعة للقرآن الكريم. أما بالنسبة للتعليم، فلا تعليم إلا للعلوم الدنيوية ومذهب الشيوعية، والمرء لا يستطيع حتى أن يعلم أبناءه العلوم الدينية وإلا تعرض للعقاب طبقا للقوانين الشيوعية. كما أن تعليم التاريخ مرتبط بالمذهب الشيوعى وحياة لينين وستالين وانجلز وكارل ماركس وثورة أكتوبر ونتائجها وما الى ذلك.

ويروى لنا قصة ابنه فضيل الذى ذهب الى المدرسة ولم يعجبه هذا النوع من التعليم الالحادى فترك المدرسة وهرب، ولكنهم أخذوه للمدرسة مرة ثانية ولما لم يجدوا سبيلاً الى اقناعه بنظرياتهم وضعوا له السم فى الطعام فمات، يقول الشاعر: (٢)

ـ هجموا على حياته وظلموه، فراح الطفل البرىء الطاهر ضحية.

ـ ضحى بروحه الطاهرة، فى سبيل توحيد الله.

كيف يتسنى لى أن أروى هذه القصة، تلك القصة المليئة بالمحنة والغصة.

ـ إن قلبى يتمزق إرباً إرباً من سرد قصة هذا الطفل البرىء الطاهر.

وبالنسبة للمدارس والمساجد، فقد هدم الشيوعيون معظمها واستولوا على مافيها، وهذا ماحدث بالنسبة لمسجد أبيه فى مدينة طراز. كما جعلوا

---

(١) بد ترين مسلك بود اندر جهان ... نيست قبحش نزد هر عاقل نهان
پيرو وى منكر الله بود ... منكر وحى ورسول الله بود ص ٢١٩

(٢) بر حياتش حمله كردند وجفا ... كشت قربان طفل پاك با وفا
در ره توحيد قدسى خدا ... كرده روح قدسى خود رافدا
كى توانم شرح حال قصه را ... قصة پر محنت وپر غصه را
سينه زين قصه بگردد چاك چاك ... قصة اين طفلك معصوم پاك ص ١٢٦

التدخلات المغرضة، أما بالنسبة للعراق فحاله ليس بأفضل من جيرانه، ويذكر أحوال أندونيسيا والأستعمار الهولندى، ثم ينتقل إلى الحديث عن الهند وباكستان وقيام الدولة الثانية ومؤسسها محمد على جناح ومشكلة كشمير.

وعندما يتحدث عن فلسطين يقدم لذلك بحديث عن العرب وفضلهم على العالم، ثم يقول أن هذا المعسكر الذى ضم اليهود من شتى بقاع العالم أقامه الأستعمار على أرض فلسطين ليكون شوكة فى جانب العرب، وحتى يجعل الشعب العربى ينزف دائماً، كما أن التقسيم الذى حكمت به الأمم المتحدة غير عادل، فكيف يحكم بتقسيم دار لإنسان بينه وبين غيره. وعندما ينتهى من وصف أحوال هذه البلاد جميعاً يرى أن العيش فى هذا العالم المتناحر أمر صعب للغاية، يقول (١):

ـ لو لم يكن هناك فضل خالق هذه الدنيا، فالعيش فى هذا الزمان أمر صعب.

كما يرى أن الحل الوحيد الذى يجب أن تلجأ إليه الشعوب هو القرآن الكريم، فتعمل بما فيه لصالح دنياها وأخراها، ويذكر أن ما جرى لهذه الشعوب من مصائب إنما يرجع إلى تركهم لتعاليم القرآن الكريم، يقول (٢):

ـ ينبغى أن يكون القرآن دستوراً عاما للشرق والغرب وللدين والدنيا.

وإذا ما تم تنفيذ هذا فستخلو الدنيا من الكراهية والبغضاء والحسد، وسيسود السلام الأرض. وعلى المسلمين أن يتحدوا ويتكاتفوا، فالقرآن يدعو إلى الوحدة قال تعالى: «وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون» (المؤمنون ٥٢)، وقال: «اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» (آل عمران ١٠٣) وقال: «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم».

---

(١) گر نباشد فضل خلاق جهان زيستن مشكل بود در اين زمان ص ١٤٦

ميزد قرآن شود دستور عام بهر دنيا غرب وشرق اندر نظام ص ١٤٩

ـ مزق القرن العشرون ـ ذلك العجوز المنكوب ـ قميصه مما أصابه من مصائب.

ـ وسيبكى على ضحايا الشيوعية، ليلا ونهاراً من الحسرة والألم.

ـ لكن دمعه سيجرى هباء، فالميت لا يعود من قبره بالبكاء.

ـ وربما فطنت أيها الشاب إلى هذا الخطر الذى يهدد العالم، من المثال الذى ضربته لك.

ويتحدث عن مصر وقضيتها فى ذلك الوقت وكفاحها من أجل إجلاء الإنجليز عن ديارها وعناد المستعمر الغاصب فى هذا الصدد، وينهى حديثه بأن مصر لن تخضع للمستعمر ولن ترضخ له ويصف شعبها، فيقول:

ـ أنهم قوم يتصفون بالحكمة والتدبير والحلم، مشهورون بالفن والعلم.

ـ معرفون بحب الوطن، مشهورون بالشجاعة فى ميادين القتال عند المحن.

ـ أنهم قوم أصحاب صناعة وحرف، ذوو غيرة وهمة.

ـ مشهورون بالأبتكار، معروفون بالعلم والعرفان.

ـ أصحاب مجد وعز وإباء، لهم عظمة أفريقيا.

ـ سيسعى الشعب جاهداً، حتى يحقق هدفه بالعزم والتصميم(١).

والمعروف أنه قدم إلى مصر عام ١٩٤٩م وقدمت عائلته بعد ذلك عام ١٩٥٠م واستقبلته حكومة مصر كزعيم إسلامى، وقضى فى مصر سبعا وعشرين عاماً.

ويصف بعد ذلك حال سورية ولبنان وما أصابهما من عدم استقرار نتيجة

---

(١) ملت باحكمت وتدبير وحلم — ملت باشهرتى در فن وعلم
ملت معروف در حب وطن — با شجاعت در ميادين ومحن
ملت باصنعتى باحرفتى — ملت با غيرتى با همتى
ملتى كودر تخلق اشتهار — دارد ودر علم وعرفان اعتبار
ملت باعجد وباعز وابا — ملت باعظمت أفريقيا
سعى خواهد كرد اين ملت تمام — تا بمقصد در رسد از عزم تام ص ١٢٠

والسبيل الثانى للخلاص فى نظره هو التمسك بسنة المصطفى (صلعم) فقد قال تعالى: «وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا». ثم يوجه المؤلف بعض النصح كترك عقوق الوالدين، وعدم ترك الصلاة، وعدم ارتكاب المعاصى، ويحض على ذكر الله، ويذكر الآيات والأحاديث التى وردت فى الذكر.

ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن قصة وفاة جده، ويقص علينا تفصيل ما حدث له على فراش الموت وأنه كان يذكر الله، ويقدم لذلك بحديث عن مدى علمه وفضله وتقواه وأنه كان حنفى المذهب، سنى العقيدة، نقشبندى المشرب، من علماء متكلمى الماتريدية، ويوجه النصح لأبنه بألا يغفل عن ذكر الله، وأن وفاة الأب تكون نذيراً للأبن وأن الجميع إلى الموت سائرون، أما الباقى فهو الله، يقول:

اندرين دنيا نماند هيچ كس آنكه باقى بس خداوند وبس ص١٨٦

وهذا البيت يتضمن معنى قوله تعالى: «كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والأكرام» (الرحمن ٢٦، ٢٧).

ويوصى ابنه بأنه يلقنه الشهادة عند احتضاره، وألا يبكى عليه بعد موته، ثم ينصحه بالتوبة والاستغفار. ويربط الشاعر بين السجن والتوبة، ويصف السجن بأنه كالجحيم أو البرزخ، فالجحيم تقبل فيه التوبة والبرزخ يمكن أن يعفى فيه عن المذنبين، وفى السجن كم من مذنب تاب بداخله، وكم من شقى أصبح سعيداً بعد أن اقترب من الحق سبحانه وتعالى. وينصح إبنه بالتوكل على الله ويشير إلى الحديث الشريف: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً». ويذكر عدة قصص تؤكد أهمية التوكل على الله.

يصف الشاعر لنا بعد ذلك قصة حجه، وذلك عندما انضم إلى وفد أفغانستان الرسمى فى عهد محمد نادر شاه ونزل ضيفاً على الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٤٩هـ = ١٩٣١م. ثم سفره إلى السعودية فى العام التالى (١٩٣٢م) وفى موسم الحج أيضا، وذلك لعقد معاهدة صداقة بين البلدين

ويسرد المؤلف بعد ذلك الخلافات التى حدثت فى عصور الإسلام الأولى، ثم ينتقل إلى الحديث عن الخلاف بين السنة والشيعة، ويرى أن مثل هذه الخلافات توجه ضربات للمجتمع الإسلامى، يقول (١):

ـ لكنى أقول أن هذا الشقاق والخلاف والصدام والنفاق القائم بين الفريقين.

ـ قد وجه ضربات قاصمة ظاهرة وخفية للمجتمع الإسلامى.

ـ فأفاد هذا أعداءه عن طريق إفساد العامة واغوائهم.

ويشير فى هذا الصدد إلى حديث الرسول (صلعم) «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وإلى قوله تعالى: «إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون» (الحجرات ١٠).

ويروى المؤلف السؤال الذى وجهه له شاعر باكستان العظيم الدكتور محمد إقبال أثناء لقائه فى منزله بلاهور، وكان مدعوا لإلقاء محاضرة عن «ضرورة الاتحاد الإسلامى» قال له إقبال: إن رجال السلف الصالحين كانوا لا يرهبون الموت إلا أننى أرى المسلمين الآن يخافونه. فما هو السبب؟ وما هو الفرق بين السابقين واللاحقين؟ ويرد عليه شاعرنا بقوله:

در جوابش گفتم أى صاحب نفس قوةٌ إيمان وضعف آن وبس ص١٥٧.

أى أنه يرى أن الإنسان عندما يكون ضعيف الإيمان يخشى الموت فى مواجهة الأعداء، بينما قوى الإيمان لا يخشاه. وقد لخص فى هذا البيت الإجابة تلخيصاً بديعاً. ويدلل على هذا بقصة عمير الصحابى الذى سمع الرسول (صلعم) يقول: «والذى نفس محمداً بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة»، فأخذ عمير يقاتل حتى نال الشهادة.

---

(١) ليك گويم بين هرد واين شقاق اين تخالف اين تصادم اين نفاق
داد پير جامعة اسلاميان ضربه هايى آشكار ونهان
بر مفاد دشمنانش شد تمام از ره افساد واغواى عوام (ص ١٥٥)

وينظم الشاعر عدة أبيات عند زيارته للمدينة، ثم يتحدث عن الصلاة على النبى وفضل ذلك، ويشير فى هذا الصدد إلى الآية الكريمة: «إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلوا تسليماً» (الأحزاب ٥٦)، وإلى الحديث الشريف: «من صلى علىّ واحدا صلى الله عليه عشراً» و «من صلى علىّ واحداً صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات» كما يقول بأن محبة الرسول ضرورة لإيماننا، ولا بد أن تكون محبته أكثر من حب الوالد والولد، ويذكرنا بالحديث الشريف: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»، فحبة ينير القلب ويعلى النفوس (١):

ـ إن حب النبى ينير قلبك، ويجعل جسدك أتونا وروضة.

ـ وحبه يسمو بحالك، فتعلو روحك وتطير من عشقه.

ويتناول بعد ذلك شروط وآداب الدعاء، ثم آداب قراءة القرآن ومنها ضرورة الوقوف على قواعد التجويد والترتيل والوضوء والاتجاه للقبله، والتوجه بالقلب للخالق، وتأدية السجدة فى مواضعها، وعدم التسرع فى التلاوة. ويختم الشاعر منظومته بالحديث عن تحديد مدة ختم القرآن، وينهى المنظومة بأبيات يقول فى مطلعها (٢):

ـ الحمد لله أننى نظمت هذا المثنوى على وزن مثنوى المولوى.

ـ حتى يكون تذكارا لفترة سجنى، ولكل قومى واخوانى.

وبعد هذا العرض الموجز لموضوعات المنظومة يتضح لنا أن الشاعر قد تأثر فى منظومته بالثقافة الاسلامية وباللغة العربية، فتأثر الى حد بعيد بالقرآن الكريم، وهو فى الغالب يقتبس من معانيه ويضمنها أبياته. وهذا أمر طبيعى لعالم من علماء الدين، خاصة أن المنظومة تتضمن كثيرا من النصح والارشاد

---

(١) عشق أو قلب ترا روشن كند ... قالبت را گلشن وگلخن كند
عشق او حال ترا بالا برد ... روح تو از عشق او بالا پرد
ص ٢٣٤

(٢) حمد الله اين كتاب مثنوى ... بر وزان مثنوى مولوى
بادگار دوره زندان من ... بهر توده ملت واخوان من

وإقامة تكية للحجاج الأفغان، وقد عقدت هذه المعاهدة وكتبها الشاعر باللغتين العربية والفارسية بقلمه، وكان يرأس هذا الوفد الأمير أحمد شاه خان ابن عم محمد نادر شاه، وكان الشاعر نائبا له، ويشير شاعرنا إلى أن الفضل فى كل هذا يرجع إلى توكله على الله، ويقول (١):

ـ ليس لى من معين فى الحياة سوى الله، سواء فى شئون الحياة أو فى الممات.

ـ فأنا وحيد بلا أهل وذاته أفضل أهل، وهو الكافى لحل كافة مشكلاتى.

ـ لقد سلمت له أمرى، فهو الإله وأنا المحتاج إليه.

وتلى ذلك أبيات نظمها عند زياراته لمكة، ثم أبيات فى المناجاة عند مقام إبراهيم يدعو فيها ربه قائلاً:

ـ إجعل وجهى أبيضاً بماء رحمتك، ولا تبعدنى عن أعتابك يائساً.

ـ فأنا لا أملك أفعالا طيبة، وكل ما أملكه ذنوب سيئة.

ـ فشأنك العفو وشأنى ارتكاب الذنوب، وشأنك الستر وشأنى العيب.

ـ فكيف يصيب النقص بحر الكرم، إذا أنت عفوت عن الواقفين على بابك.

ـ فيا إلهى طهر القلب من حب غيرك، ومزق لبة ثوبى بعشقك.

ـ وأغرقنى فى بحار المعرفة، واجعلنى أقف على ماهية صفاتك (٢).

---

(١) من ندارم جز خداكس در حيات ... در شئون زندگى همچون ممات
بيكسم من ذات او بهتركس است ... بهر حل مشكلاتم او بس است
كار خودرا من سپردم سوى أو ... أو خدا ومن گدا دركوى أو ص ٢١٤

(٢) روسفيدم كن به آب رحمتت ... بس مران مأيوس از اين درگهت
هيچ نيكى من ندارم از خودى ... هرچه دارم ان گناه است بدى
كارتو عفو است وكار من ذنوب ... شأن تو ستر است وشأن من عيوب
كى رسد نقصى بدريای كرم ... گر بيخشى واقفان اين حرم
سينه ام از مهر غيرت پاك كن ... هم گريبانم بعشقت چاك كن
غرق سازم در بحار معرفت ... واقفم كن از شئونات صفت

ويقول :

وعده حق را پسر ايندم بدان «سنريهم» گفته حق اندربيان

إشارة إلى قوله تعالى :

«سنريهم آياتنا فى الأفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» (فصلت ٥٣)

ويقول :

آن خدايى كو ورا آورده است حفظ أورانيز وعده داده است

اشارة إلى قوله تعالى :

«انا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون» (الحجرات ٩).

كما أن تأثره بالأحاديث النبويه واضح جلى فى كل صفحة من صفحات منظومته، وهذا راجع الى موضوع المنظومة من جهة والى رغبة الشاعر فى التدليل على ما يقول بآيات من القرآن الكريم وبأحاديث نبوية لتؤكد وجهة نظره فى كل الموضوعات التى طرحها فى منظومته، ومثال ذلك قوله (ص ١٠):

كرده پيغمر ابو ذر را خطاب خود بفرمود اين كلام باصواب

در سلامت باشى تاكه ساكتى هان ندارد نقص برتو صامتى

چونكه گفتى برلمت باشد سخن بر عليهت يا بود آرد محن

وهذا اشارة إلى الحديث الشريف :

«يا آبا ذر أنت سالم ما سكت، فاذا تكلمت فلك او عليك».

«وقوله ص ١٦» :

خود غنى از افضل خود باعلم ساز هم مزين از كرم با حلم ساز

هم بتقوايت مرا اكرام دار خوف خو درا بر دلم الهام دار

با جا لم كن بحسن عافيت هم سعادت كن نصيم عاقبت

وهذا اشارة إلى الحديث الشريف :

«اللهم اغننى بالعلم، وزيننى بالحلم واكرمنى بالتقوى وجلنى بالعافية».

ويقول «ص ٤٤» :

از تفكر كشف گردد كائنات رفع گردد پرده ها از مضمرات

والدعوة الى الدين الحق واتحاد المسلمين والتوكل على الله، وغير ذلك من الموضوعات التى تحتاج الى شواهد من القرآن والسنة، ونذكر على سبيل المثال: لا الحصر قوله (ص ١٩):

هون وحزن از نقص إيمان آمده اين سخن در نص قرآن آمده

وهذا اشارة الى قوله تعالى:

«ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» (آل عمران ١٣٩).

ويقول (ص ٢٥):

صبر كن بهر بلا صبر جدا همره صابر بود بى شك خدا

هذا اشارة إلى قوله تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين». (البقرة ١٥٣)

ويقول (ص ٢٥):

خلق كرد خالق ترا بين كبد بس توهستى در مشقت تا أبد

وهذا اشارة إلى قوله تعالى:

«لقد خلقنا الانسان فى كبد» (البلد آية ٤).

ويقول (ص ٣٠):

وعدهٔ الله بود وعده يقين چونكه فرموده است ننجى المؤمنين

وهذا اشارة إلى قوله تعالى:

«وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه، فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناه من الغم، وكذلك ننجى المؤمنين» (الأنبياء ٨٧، ٨٨).

ويقول:

آيتى را از ألم نشرح بخوان مطمئن گردد ترا خاطر ازان

وهذه اشارة إلى قوله تعالى:

«فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا» (سورة الشرح ٥، ٦)

ويتأثر شاعرنا بالشعر العربى قديمه وحديثه، وهذا ليس بغريب على من ينظمون بالفارسية فما من ديوان أو منظومة فارسية، إلا ونرى فيها اقتباسا من معانى الشعر العربى ومضامينه، ومن أمثلة ذلك قوله:

وه چه خوش گفته است آن مرد عرب — سلك نظمش مطرب أهل ادب
بعض روزى بر عليه ما بود — روز ديگر بر له ما ميبود
بعض روزى ميرسد بر ما بدى — روز ديگر ميرسد برما خوشى

اشارة الى قول الشاعر:

فيوم «علينا ويوم» لنا — ويوما نُساء ويوم نُسَر

ويقول:

شاعر قوم عرب خوب گفته است — در فنون شاعرى در سفته است
هان مكن مارا ملامت اى نديم — گر شدم بى طاقت از حال اليم
قلب من در خلقتش يكپاره ايست — نه زآهن نه زسنك خاره ايست
مطلب من فوت گرديد از قضا — هجر وتركم داده محبوبم مرا
سوزد احشاى من از هجران وغم — پشت من خم كرده است بار ألم

وهذا المعنى مأخوذ من قول بهاء الدين العاملى فى قوله:

لا تلومونى على فرط الضجر — ليس قلبى من حديد أو حجر
فات مطلوبى ومحبوبى هجر — والحشا فى كل آن فى اشتعال

وتأثر شاعرنا أيضا بالامثال العربية ومن ذلك قوله:

مرد عاقل را اشارت بس بود — رمز كافى بهر آن كوكس بود ص ١٣

وأيضا قوله:

ليك باشد بهر عاقل اكتفاء — أز اشارت حرف وزمزى بى خفاء ص ١٣٥

وفى هذه إشارة إلى المثل العربى القائل: «العاقل تكفية الأشارة».

بل ان بعض أبياته تصلح لأن تجرى مجرى الأمثال السائرة لما تتضمنه من حكمة كقوله (ص ١١٧):

خوى بد اندر طبيعت گرنشست — كى رود تا ساعت مردن زدست

أى:

اذا جبل الانسان على الطبع السئ، فكيف يتخلص منه إلى أن يحين أجله.

اشارة إلى الحديث الشريف:

«اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله».

ويقول (ص ٤٨):

گفت پیغمبر آنکس که مرد — حالت إیمان خود جان را سپرد
آن یقین بر وحدت الله داشت — هم عقیده بر رسول الله داشت
این موحد داخل جنت شود — نزد الله صاحب نعمت شود

اشارة الى الحديث الشريف:

«من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة».

كما تأثر أيضا بالأحاديث القدسية ومثال ذلك قوله (ص ١):

کرد ظاهر قدرتش شمس وقمر — تابا فتد بر مؤثر چون أثر

وهذا اشارة الى الحديث القدسى:

«كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق».

والشاعر متأثر باللغة العربية، والمعروف أن اللغة الدرية المستعملة فى أفغانستان قد حافظت على نقائها أكثر من الفارسية المستعملة فى ايران، ومن خصائص هذه اللغة كثرة استخدام المفردات العربية، فلم تبذل محاولات لابعاد هذه المفردات أو تنقية اللغة الدرية منها كما هو الحال بالنسبة لفارسية ايران، ومازلنا نرى أهل أفغانستان يحافظون على هذه الألفاظ والتراكيب العربية فى لغتهم. وفى هذه المنظومة تبرز هذه السمة بوضوح نظرا لموضوعها الذى يغلب عليه الطابع الدينى، فنجد عبارات بأكملها باللغة العربية، ومن أمثلة ذلك: الصبر مفتاح الفرج (ص ٣٠)، شعار أهل الكفر (ص ٣٠)، رب رحيم (٣٣)، أصل ومنبع (٣٤)، حر قرشى وفريد (٣٤)، حر ونسيب (٣٥) رحمة الله عليهم أجمعين، رب فاجعلنا لهم من تابعين (٤٠)، خير العباد (٥٦)، أهل جهاد (٥٦)، بأبى انت وأمى يارسول (٥٧)، يا إلهى أنت رب العالمين، غافر الذنب لكل المذنبين (٧٣)، خنق نفس (١٠٦) حق تقرير المصير (١٣٥)، الى يوم الحساب (١٤٩)، استجب يا ربنا أنت المجيب، أنت للدعوات رب مستجيب (ص ١٩٠)

وقد استخدم الشاعر تعبيرات جميلة عبرت عما يجيش فى صدره، وصورت آماله وأحلامه بصورة جيدة من ذلك قوله: «گوهرى از قطرهاى اشك سفت» (ص ٣٢)، أى «سلك جواهر من قطرات الدمع» وقوله: «خون اشكم بر رخش افتيد خال» (ص ٣٣)، أى: «انهمرت دمعى الدامى على وجهه فصار كالخال».

ومن المصطلحات التى شاع استعمالها عنده:

سر خم كردن بمعنى الخضوع.

دل از خلق اين جهان سرد گشته = دل از چيزى سرد گشتن

دل از شئون دنيوى سرد كن = دل از چيزى سرد كردن

كناية عن: اصراف القلب عن الشئ وعدم الاهتمام به.

خنزيريان: كناية عن الكفار والمشركين.

واستخدم بعض المفردات الأجنبية الشائعة فى اللغة الدرية ومنها على سبيل المثال:

أتوم = الذرة، ساينس دانان = العلماء، جهان يورپى: أوربا، قارة يورپ، ملك يورپ = القارة الأوربية. اعتصاب فبريك: اضراب المصنع.

ويستخدم الشاعر فى منظومته بعض الألفاظ الشائعة فى اللهجة الافغانية، وهذا ناتج بطبيعة الحال من اقامته فى هذه الديار وتأثره بالبيئه المحيطة به، ومن أمثلة ذلك الكلمات:

پهره بمعنى حارس، گپ بمعنى كلام، شيطان بمعنى جاسوس، اغتشاش بمعنى انقلاب أو ثورة، يونو بمعنى هيئة الأمم المتحدة، سائس بمعنى سياسى، مكتب بمعنى مدرسة، نفس: كلمة يخاطب بها الشخص العزيز.

وختاما فهذه المنظومة من أطرف المنظومات الفارسية التى قرأتها، وهى تعبر تعبيرا صادقا عن ناظمها، فالقارئ يعايشه فى كل بيت من أبياته، ويتعاطف معه فى محنته وغربته ومأساة بلاده، ويشعر من خلال كلماته وعباراته بصدقه فى التعبير عن كل ذلك، فهو يعبر عن واقع حياته وواقع عصره الذى عاش فيه، ويضمن منظومته مجموعة من الأحداث والوقائع التى مازلنا نعيش تحت تأثيرها.

ويشير شاعرنا الى العديد من الكتب الاسلامية، وخاصة كتب الفقه والحديث والتفسير وغير ذلك، كما تتضمن منظومته اشارات إلى بعض العادات والتقاليد أو طرز المعيشة السائدة فى المناطق التى عاش بها، ومن ذلك قوله (ص ٢٢):

آن يكى بى طاقت ودر ضيق حال از كتاب خواجه گيرد فتح فال
ان دگر فالش به قرآن ميكند زينجهت تسكين وجدان ميكند

وهو فى هذين البيتين يشير الى عادة موجودة فى بعض البلاد الاسلامية وهى أخذ الفأل من القرآن الكريم، كما يشير الى عادة مماثلة لذلك يقوم بها الشعب فى ايران وأفغانستان وهى أخذ الفأل من ديوان الشاعر الايرانى حافظ الشيرازى، وهو يصف هنا طائفة من المسجونين معه بعضهم يأخذ الفأل من القرآن وبعضهم يأخذه من ديوان حافظ حتى تطمئن نفوسهم. ومن ذلك أيضا قوله (ص ٢٢):

گركسى را چشم وابرو ميپرد مژده گويد يا ازان بد ميپرد
ور زكوزه آب ريزد زاتفاق مى بگويد روشنى هست بى شقاق

وفى البيتين السابقين اشارة الى بعض العادات السائدة أيضا وهى أن البعض يتفاءل برفرفة العين والحاجب والبعض الآخر يتشاؤم منها، كما هو الحال بالنسبة لسقوط الماء من الاناء بالصدفة.

ويشير فى بعض أبياته الى نوع من أنواع الطعام المعروف فى تركستان وبخارى ويسمونه «پلو» ويعرف فى أفغانستان باسم «قابلى» وهو طعام من الأرز،

ويقول ص ٢٢:

آن يكى را بيت خوانى ورباب ميكند گه قابلى گاهى كباب

وأسلوب الشاعر فى هذه المنظومة سهل بسيط يعبر عن المقصود بصورة تخلو من التعقيدات اللغوية والأهتمام بالمحسنات البديعية، ويمكننا أن نقول أن هذه المنظومة خطاب مباشر الى المناضلين فى سبيل الحرية والاستقلال، والى الأمة الإسلامية، دون محاولة لابراز المهارة اللغوية أو الصنعة البديعية،

مع العلامة الطرازى.. الرجل المبارك

للأستاذ/ عبد اللطيف الجوهرى

لا شك أن رجلاً يحيا حياةً حافلة بالعطاء المتنوع، ويبقى عطاؤه مثمراً بعد وفاته هو بلا خلاف رجل مبارك، وهذا ينطبق تماماً على سماحة العلامة المجاهد الشيخ أبى النصر مبشر الطرازى، الذى تعددت جوانب شخصيته وتنوعت آثاره فلم تزل تشع وتهدى إلى طريق الرشاد فهى كالكلمة الطيبة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها.

والبركة فى اللغة تعنى النماء والزيادة. قال تعالى: «سبحان الذى اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله..» الأسراء الآية الأولى.

ولقد أحببت العلامة الطرازى دون أن ألقه وشهدت بفضله ورسوخ قدمه فى الفقه والعلم بالتعرف على آثاره والوقوف على بعض جوانب سيرته فى بلاد العرب والعجم، فوجدتنى أمام رجل لا تملك إلا أن تشعر نحوه بصادق الحب ووافر الأحترام وعظيم التقدير..

البداية مع (كَشْفُ اللثام):

كنت أتردد على المكتبات العامة إبان الدرس فى المرحلة الثانوية فى مدينة طنطا ولفتنى وجود كتاب مجلد بغلاف فاخر عنوانه (كشف اللثام عن رباعيات الخيام) لسماحة العلامة أبى النصر مبشر الطرازى، فرغبت فى استعارته وقراءته لما كان لرباعيات التى تغنيها أمُّ كلثوم من صيت ذائع وأثر واضح فى نفوس الشباب اليافع، فأحببتُ التعرف على ما فى هذا

وها هو الشاعر يحذر من الأخطار التى تحيط بالأمة الاسلامية كالشيوعية وغيرها، وينادى بالوحدة الاسلامية فى مواجهة هذه الأخطار، ويدعو الى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله (صلعم). وكأنه فى منظومته هذه يتنبأ بما يحدث الآن فى أفغانستان المسلمة التى امتدت اليها يد الشيوعية الغاشمة.

ورغم طول هذه المنظومة وتكرار التعبيرات والمصطلحات أحيانا وتشابه الموضوعات والأفكار فى أحيان أخرى، إلا أن القارىء لا يشعر بأى ملل أثناء قرائتها، ذلك لأن ناظمها ينقله الى خضم الحياة المعاصرة ويصورها له بأسلوب سهل بسيط، فيحيط القارئ علما بكل مايدور فى هذه الفترة من خلالها، وكأنه يقرأ قصة متصلة الأحداث، مترابطة الوقائع.

ويحس القارئ للمنظومة بأنه هو المقصود بهذا النصح، فقد وجه الشاعر كثيرا من النصح والارشاد الى الانسان المسلم عموما، والى ابنه أحيانا، فحديثه ونصحه يخصنا جميعا، وموجه الينا كافة، ولا يمكننا اغفاله أو تجاهله. ومن هنا يمكننا القول بأن حديث الشاعر فى هذه المنظومة خرج من القلب الى القلب. وحبذا لو ترجمت هذه المنظومة الى اللغة العربية بأكملها حتى يرى فيها الشباب المسلم قصة كفاح عظيمة، وملحمة نضال رائعة يفخر بها كل مسلم.

مع عميد عائلة الطرازى:

وفى (الروضة) بالقاهرة كان لقائى بشيخ اللغات الشرقية الإسلامية فى جامعات مصر وخبير الفهارس الشرقية الإسلامية بدار الكتب المصرية الأستاذ نصر الله مبشر الطرازى فتتعمق صلتى الروحية بالعلامة الطرازى لوقوفى ـ عن قرب ـ على كثير من آثار الشيخ الطرازى فى حقل الدعوة الإسلامية والسيرة النبوية والفقه والأدب وصفحات من جهاده ضد الغزاة الروس الذين إحتلوا تركستان الغربية منذ عهد القياصرة ثم كانت الثورة البلشفية الشيوعية عام (١٩١٧م) والتى خدعت شعوب تركستان وقد وعدتها بالاستقلال إن ساعدتها على نجاح الثورة الشيوعية وبعد نجاح الثورة واستقرار الأمر للشيوعيين البلاشفة جعلوا يحكمون قبضتهم على بلاد تركستان التى أنجبت العشرات من نجباء الحضارة الإسلامية وعلومها من أمثال الإمام البخارى وابن حنبل، وسيف الدين قطز قاهر التتار والشيخ الرئيس ابن سينا وغيرهم، وتتنوع جوانب الطرازية فى مجال التأليف والدعوة والقيادة والجهاد بمختلف الوسائل فاستحق الشيخ ـ رضى الله عنه ـ أن يُوضع فى مصاف المصلحين الرواد فى سبيل نهضة الأمة الإسلامية أمثال العلامة محمد إقبال والإمام محمد عبده والإمام حسن البنا والعلامة الندوى (أبو الحسن).

مع آثار الطرازى ومؤلفاته:

وفى زياراتى لمنزل الطرازى رأيت آثار الشيخ الطرازى باللغة العربية وبغيرها من اللغات الإسلامية وبخاصة الفارسية، حيث ألف ونظم شعر الحكمة بكل تلك اللغات، ولقد شرفنى الله تعالى وجعلنى سبباً فى طبع ونشر بعض آثار العلامة الطرازى ومنها:

١ ـ كتاب (النبذة فى السيرة النبويه).
٢ ـ كتاب (الإسلام ـ الدين الفطرى الأبدى).
٣ ـ كتاب (التدين)
٤ ـ كتاب (القرآن)
٥ ـ كتاب (سرعة إنتشار الإسلام ـ لماذا؟).
٦ ـ كتاب (إياك والخمر) مترجم عن الفارسية.

الكتاب من جديد شائق ونافع بخصوص رباعيات الخيام، وجعلت أقرأ فإذا بالمؤلف ـ رحمهُ الله تعالى ـ يفاجئنا بفكرة جديدة تثور على ماهو شائع ودارج فى حقيقة رباعيات الخيام ألا وهى فساد وبطلان نسبة هذا الشعر المعروف برباعيات الخيام والتى ذاع صيتها شرقاً وغرباً بمختلف اللغات منسوبة للحكيم عمر الخيام، وأثبت الكاتب الأديب أن الخيام رجل مُفترى عليه، وبرئ من الشعر المعروف برباعيات الخيام براءة الذئب من دم إبن يعقوب، وقد سلك فى هذا الصدد كل مسلك، فقلّب الأمر على جميع الوجوه، فلم يترك احتمالاً إلا طرحه وناقشه، ولم يترك اعتراضاً لمعترض على مذهبه إلا فنده بناصع الحجة ورائع البرهان، ومرت الأيام ودعيت لإلقاء محاضرة فى قصر ثقافة طنطا صيف (١٩٧٨م) فأخترت أن أقدم فى المحاضرة بحثا عن كتاب «كشف اللثام عن رباعيات الخيام» وعللتُ هذا الاختيار بكثرة ما يدور حول رباعيات الخيام من غموض وجدل، وكانت محاضرة موفقة، تقبلها جمهور الحضور من الدارسين والباحثين بقبول حسن، وعلم أستاذنا المؤرخ الأديب أنور الجندى بأمر المحاضرة وقرأ نصها فقرر نشره فى جزء من أجزاء دراسته الموسوعية (على طريق الأصالة الإسلامية) تحت عنوان (عمر الخيام .وقصة الرباعيات فى ضوء الإسلام) وبعد نفاذ الطبعه الأولى صدرت الطبعة الثانية مُتجاوزة بعض القصور الذى شاب الطبعة الأولى، وهكذا يجند الله سبحانه وتعالى من عباده من يقوم بتأييد الحق ودحض الباطل.

مع أنور الجندى :

ويحدثنى الأستاذ أنور الجندى عن الشيخ الطرازى بحديث الحب فيتناول تآليفه وصلاحه، وكيف أن الله تعالى ختم له بخاتمة الصلاح حيث كان الشيخ ذات مساء فى منزله وبين أولاده فيطلب منهم أن يعدوا له ماء دافئاً ليغتسل ثم يفرغ من اغتساله فيلتف حوله أبناؤه فيكثر من ذكر الله تعالى والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم وتصعد روحه إلى بارئها راضية مرضية، وازداد حُباً للرجل وتقديراً له، ويدلنى الأستاذ الجندى على دار الشيخ الطرازى لألتقى بأبنائه..

سماحة العلامة الطرازى والاتحاد الإسلامى

للأستاذ الدكتور/ عبد الله مبشر الطرازى
كلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة

الحمد لله رب العالمين الذى جعل المسلمين أمة واحدة وأمرهم بالاتحاد والوحدة، والصلاة على سيدنا محمد الذى دعا أمته إلى الأخوة والمحبة، وعلى آله وصحبه الذين عملوا بأوامر الله واتبعوا سنة رسول الله، فعاشوا متعاونين أقوياء أعزاء، وماتوا متحابين شرفاء كرماء.

وبعد .. فإن الإتحاد الإسلامى يعد من أهم الدعائم لتقدم الأمة الإسلامية، وهو أساس قوتها وعزتها وأعظم سلاح يحفظها من كيد الأعداء، أعداء الدين والقيم والإنسانية، وبدون الإتحاد لا يمكن أن تعيش فى أمن وسلام وطمانينة.

ولذلك إهتم الاسلام بالاتحاد اهتماماً كبيراً، فهناك آيات قرآنية كريمة تأمر المسلمين بتطبيق الاتحاد فيما بينهم، وهناك أحاديث نبوية شريفة ترشدهم إلى السبل والوسائل التى بها يتحقق هذا الإتحاد.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من قام بتطبيق مبادئ الأخوة والمحبة والإتحاد بين المسلمين من المهاجرين والأنصار فى المدينة المنورة بعد تأسيس الدولة الإسلامية (١) وكان الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم متمسكين بهذه المبادىء الحكيمة، ومن بعدهم عمل بها كثير من الحكام لخير

---

(١) انظر التفصيل فى «نبذة من السيرة النبوية» لسماحة الطرازى، الطبعة الثالثة بالاسكندرية سنة ١٩٨٤ ص٢٤٥

ومع تيسير الله سبحانه وتعالى بطبع المؤلفات السابقة صدر للشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ (كشف اللثام عن رباعيات الخيام) فى طبعة جديدة عن الهيئة العامة للكتاب بمصر تلاه طبع كتابه القيم (الأخلاق فى الإسلام) عن الهيئة العامة للكتاب أيضاً، ومن جهة أخرى قامت أسرة الشيخ الطرازى بطبع مُؤلفات أخرى باللغة الفارسية والعربية كذلك، وإنى أرى أن ذيوع مؤلفات الشيخ الطرازى وما كتب عنه وعن آثاره فى الصحف والمجلات واحتفاء العلماء المتخصصين بتناول آثاره بالدرس والتحليل والتقييم أمارة على رفع ذكر مولانا الطرازى وعلامة على إخلاص الرجل وتجرده للحق ولا نزكى على الله أحدا.

وإبان مُعايشتى لآثار العلامة الطرازى وجدتنى أمام عالم ثبت يستشهد بالشعر توضيحاً للمعنى الذى يرمى إليه وزينة له ونحن أمام باحث مدقق يعرض لمادة بحثه مسلحاً بالأدلة والبراهين المعتمدة، ونحن أمام مؤلف مثقف ثقافة عصرية ملم بمختلف التيارات الفكرية والسياسية التى تؤثر على مجريات الأمور فى العالم الإسلامى، ونراه يخص الشباب المعاصر بعناية خاصة كما يتضح من حديثه فى مقدمة كتاب (النبذة) ولذا نجده يجنح إلى الأسلوب السهل الرفيع فى مخاطبة القارئ ويستشهد بآراء المنصفين من مفكرى الغرب، ثم إننا قبل ذلك وبعده نجد عُمقاً فى البحث وتجرداً للحق، ونلمس روح الداعية فى تأليفه واجتهاده.

رحم الله العلامة الطرازى وجزاه عن دينه وأمته خير ما يجزى به الصالحين العاملين المخلصين ونفع بعلمه وبارك فى ذريته. آمين.....

ولا يمكن لنا الخلاص من هذه المحنة القاسية وتلك الحالة السيئة، إلا بالرجوع الكامل إلى الله ورسوله، والعمل بالكتاب والسنة، وبالتفاهم بين الحكومات الإسلامية للقضاء على الخلافات الموجودة، وبذل جهودها لرفع شأن الشعوب الاسلامية، بمفهوم الفكر الاسلامى، للتعاون الثقافى والاقتصادى والعسكرى والسياسى، والتعاطف الاجتماعى، والمشاركة الفعلية فى المواقف الانسانية، بتقديم العون والمساعدة فيما بينها.

وبذلك يتحقق الإتحاد للمسلمين، وتتحقق لهم معه العزة والكرامة، وحينئذ يستطيعون القيام بواجبهم القيادى لتوجيه البشرية، نحو الخير والفضيلة، ونحو الإيمان والمعرفة، ونحو المدنية الصالحة، كما أراد الله ذلك لهم فى هذا الوجود، لقوله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله»(١).

وسماحة الطرازى هو أحد الزعماء المجاهدين فى العالم الإسلامى الذين جاهدوا فى سبيل الله، وأحد العلماء الأجلاء الذين عرفوا مسئولياتهم نحو التبليغ إلى الله، فقد كان منذ شبابه داعياً إلى الإتحاد الإسلامى، ونلاحظ اهتمامه الشديد بالدعوة إليه فى كتبه الكثيرة التى ألفها باللغات العربية والتركية والفارسية(٢) ومحاضراته التى ألقاها فى المحافل العلمية(٣) وعشرات المقالات التى نشرت له فى المجلات والصحف فى البلاد العربية والاسلامية(٤) بحيث نجده يتحدث دائماً من خلال الموضوعات المختلفة فى

---

(١) الآية رقم ١١٠ من سورة آل عمران.

(٢) لسماحة الطرازى كتب كثيرة يصل عددها إلى نحو ٤٢ كتاباً باللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية فى الموضوعات الاسلامية والأدبية والتاريخية بالاضافة إلى دواوين الشعر، طبع معظمها فى مصر.

(٣) له محاضرات كثيرة منها: الجهاد والجندية ـ الجزائر الثائرة ـ فلسطين المغصوبة ـ اجمال حالات المسلمين فى روسيا ـ الدين والشيوعية ـ وغيرها التى ألقاها فى مصر فى الخمسينيات والستينيات وأشار فيها إلى ضرورة الإتحاد.

(٤) فى مصر مثل مجلة الأزهر ومجلة منبر الاسلام ومجلة الأعتصام وجريدة شباب محمد وجريدة منبر الشرق وجريدة الأهرام والمجلات والصحف المصرية الأخرى، وفى السعودية مثل مجلة رابطة العالم الاسلامى وجريدة البلاد، وفى سوريا مثل مجلة التضامن الاسلامى، وكذلك فى الصحف والمجلات الأفغانية والهندية والباكستانية والتركية واليابانية وغيرها.

الاسلام والانسانية، كما قام العلماء الأفاضل بدعوة المسلمين إلى الاتحاد والمحبة والأخوة، فلذلك عاشت الأمة الاسلامية فى صدر الاسلام وبعده من العصور فى قوة وعزة وكرامة، وانتشر الاسلام بفضل تعاليمه السامية فى مشارق الأرض ومغاربها فى فترة قصيرة، حتى ارتفعت راية الاسلام عالية خفاقة، فى أنحاء آسيا وأفريقيا وأجزاء من أوربا فى نهاية القرن الأول للهجرة.

ثم لما تهاون المسلمون بمبادىء الإتحاد، وتناسوا التعاطف والتعاون والتراحم والتسامح فيما بينهم، تفرق شملهم وذهب ريحهم وضعف كيانهم، وطمع الأعداء فى خيرات بلادهم، فوقعت بلاد عديدة لهم فى براثن الإستعمار وساءت حالتهم، وتأخرت شئون حياتهم.

ثم مرت قرون حتى إستيقظ المسلمون من غفلتهم، وعرفوا أسباب نكبتهم، فرجعوا من جديد إلى العمل بتعاليم دينهم، وبدأوا يطبقون مبادىء الأخوة والمحبة والإتحاد بينهم، فتوحدت كلمتهم وتحررت بلادهم، وعادت القوة والعزة إليهم، لأنهم أطاعوا الله ونصروه فأيدهم ونصرهم «يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم»(١).

ولكننا ـ للأسف الشديد ـ نجد المسلمين فى السنوات الأخيرة يعيشون فى محنة قاسية، لأن مبادىء الإتحاد الإسلامى غير مطبقة، تطبيقاً كاملاً حسب الأوامر الإلهية والتوجيهات النبوية، ولذلك فإننا نرى التمزق بين صفوف البلاد الإسلامية، كما نسمع أنين شعوب مسلمة لاتزال تعيش فى حاله سيئة، محرومة من حقوقها الشرعية، كما هي الحالة فى بلاد تركستان وبخارى وغيرها(٢).

---

(١) الآية رقم ٧ من سورة محمد.

(٢) انظر «إلى الدين الفطرى الأبدى» لسماحة الطرازى طبع القاهرة سنة ١٩٧٢م ص١٠٦ ـ وكذلك أنظر الديوان «مثنوى» لسماحة الطرازى ص١٥٢ ـ ١٦٦، وأيضاً انظر «اجمال حالات المسلمين فى روسيا» لسماحة الطرازى لمعرفة أحوال المسلمين فى تركستان ودعوة الطرازى إلى الإتحاد الاسلامى لتحرير البلاد الاسلامية.

حديث المفكر الذى يقدر الإخوة الإسلامية حق التقدير ويقدر مالها من حقوق ونحوها من واجبات (١).

ويرى سماحة الطرازى أن المسلمين أصبحوا فى الآونة الأخيرة ضعفاء إيماناً وعلماً وعملاً وقوة، لأنهم لايطبقون تعاليم الاسلام تطبيقاً كاملاً فى أفعالهم وأقوالهم ومعاملاتهم وتصرفاتهم، فالسبب فى ضعف المسلمين إيماناً هو أنهم يخافون الموت ونسوا فكرة الجهاد، وكان السلف الصالح لايخافون الموت ولذلك جاهد أجدادنا الأوائل بكل رخيص وغال فى سبيل الله، والسبب فى ضعف المسلمين علماً هو أنهم أهملوا البحث والتحقيق والتعمق فى علومهم العربية والإسلامية، وبالغوا فى الاهتمام بعلوم أوربا الحالية، وتناسوا تراثهم وتاريخهم ومسئوليتهم أمام أمتهم العظيمة. والسبب فى ضعف المسلمين عملاً هو أنهم تجاهلوا الاخلاص والجد والمثابرة، وأمسوا يحبون الدنيا وزخارفها الفانية، فقصروا فى أداء الواجبات نحو شعوبهم وأوطانهم فى المجالات المختلفة. وأما السبب فى ضعف المسلمين قوة. فهو أنهم ضعفوا فى قوتهم الخلقية ولذلك فقدوا الكثير من المقومات الروحية، كما ضعفوا فى قوتهم المادية لعدم استفادتهم من الخيرات الموجودة فى بطون الأرض استفادة صحيحة فى سبيل رفاهية شعوبهم الإسلامية، والقيام بالتصنيع بأنفسهم للدفاع عن كيانهم وبلادهم العزيزة (٢).

وبعد ذلك يدعو سماحة الطرازى المسلمين إلى الاتحاد الإسلامى، ويقول إن عليهم أن يجتهدوا ليتحدوا فى الرأى والعمل حتى يصيروا أقوياء كما كانوا من قبل، بفضل تمسكهم بتعاليم الاسلام، ويبين أركان الاتحاد كالأخوة والمحبة والوحدة وعدم التفرقة، والاحترام والتعاون والمساواة بين المسلمين.

---

(١) اقرأ «الأربعون الطرازية» لسماحة الطرازى، أربعون حديثاً فى الأخوة الاسلامية، طبع ووزع مجاناً فى القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ.

(٢) انظر كتاب «إلى الدين الفطرى الأبدى» لسماحة الطرازى فى صفحات متفرقة، وكذلك انظر محاضرة «وجوب اتحاد العالم الاسلامى» وأيضاً انظر الديوان «مثنوى» تحت عنوان «سبب تنزل المسلمين» ص١٥٢ و ١٥٣ و ص١٥٦.

تلك الكتب والمحاضرات والمقالات عن الإتحاد والأخوة، موضحاً الوسائل التى تساعد على تحقيق الإتحاد بين المسلمين وحكوماتهم الإسلامية، ومبيناً أيضاً الأسباب التى أدت إلى ضعف المسلمين بسبب الخلافات والتفرقة، وهو يستند فى آرائه واقتراحاته بشأن إمكانية الاتحاد فى الأمة الاسلامية الواحدة، على ما جاء فى كتاب الله وسنة رسول الله، لأن نجاة المسلمين ونجاحهم وسعادتهم مرتبطة بتمسكهم بهما وبما فيهما من التعاليم الحكيمة، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «تركت أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما، كتاب الله وسنتى»(١).

ولعل السبب الرئيسى لاهتمام سماحة الطرازى بمسألة إتحاد العالم الإسلامى، يرجع إلى نكبة بلاده تركستان الغربية التى استعمرها الروس منذ أكثر من سبعين سنة، تلك البلاد التى أنجبت علماء كباراً، الذين قدموا إلى العلوم الاسلامية أجل خدمات بمؤلفاتهم العظيمة(٢). فسماحة الطرازى عندما يتحدث عن الإتحاد الإسلامى، إنما يتحدث حديث العالم الذى يؤمن بأوامر الله تعالى وتوجيهات الرسول الكريم فى هذا الموضوع(٣) ويتحدث حديث المجاهد الذى جرب أهمية الإتحاد عند الشدائد والنكبات(٤) ويتحدث

---

(١) رواه الامام البخارى عن..... رضى الله عنه.

(٢) أقرأ «اجمال حالات المسلمين فى روسيا» لسماحة الطرازى، محاضرة ألقاها سماحته فى دار نقابة الصحفيين فى القاهرة بتاريخ ٢٦ ربيع الثانى سنة ١٣٧١ هـ (١٩٥٢م) ثم طبعت من طرف جمعية شباب محمد صلى الله عليه وسلم ووزعت مجاناً فى القاهرة سنة ١٣٧١ هـ/١٩٥٢ م.

(٣) انظر «توحيد أوائل الشهور العربية» لسماحة الطرازى، طبع فى القاهرة ووزع مجاناً سنة ١٣٩١ هـ/١٩٧١ م ـ وكذلك انظر الديوان «مثنوى» تحت عنوان «اتحاد» ص١٥٣ و ١٥٦ ويبدأ القصيدة بهذا البيت:

راه قرآن، اتحاد ووحدت است　　دعوتش بر اتحاد أمت است

(٤) اقرأ محاضرات سماحة الطرازى: «فلسطين المغصوبة» ألقاها فى القاهرة بمناسبة يوم فلسطين وكذلك «الجزائر الثائرة» ألقاها فى القاهرة قبل استقلال الجزائر، وأيضاً «تأميم شركة قناة السويس» ألقاها فى القاهرة عند ازمة قناة السويس قبل عشرين سنة تقريباً، وفى كلها دعوة إلى الاتحاد الاسلامى.

يقول الله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون»(١) ويقول أيضاً: «وأطيعوا الله ورسوله، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا، إن الله مع الصابرين»(٢).

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»(٣) ويقول أيضاً: «ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٤).

ولما كان الاسلام يريد أن تسود الوحدة بين عامة المسلمين فى أسرة عالمية، وأن تستحكم عراها فى ميادين شئونهم الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، حتى يعيشوا عيشة مرضية، ويحيوا حياة كريمة، ولا يخل بها قصد قاصد ولا غرض مغرض، ولا طمع استعمار بغيض، فلذلك نهى الاسلام عن كل تصرف يؤدى إلى التفرقة بين المسلمين(٥).

فقد نهى الاسلام عن قتال طائفة مؤمنة مع طائفة مؤمنة أخرى، وأمر سائر المسلمين أن يصلحوا بينها عند وقوع القتال، كما أمر بمقاتلة طائفة لاتقبل الصلح حتى ترجع إلى أمر الله، وهو الصلح وترك الشحناء، ذلك لكى تبقى الوحدة الاسلامية قوية(٦) فقد قال الله عز وجل: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينها، فإن بغت إحداهما على الأخرى، فقاتلوا التى

---

(١) الآية رقم ١٠٣ من سورة آل عمران.
(٢) الآية رقم ٤٦ من سورة الأنفال.
(٣) رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى رضى الله عنه.
(٤) رواه الامامان عن النعمان بن بشير رضى الله عنه.
(٥) إلى الدين الفطرى الأبدى، لسماحة الطرازى ج٢ ص١٠٦.
(٦) انظر الديوان «مثنوى» لسماحة الطرازى عن سبب تنزل المسلمين، وكذلك «إلى الدين الفطرى» ج٢ ص١٠٧.

فيقول سماحة الطرازى عن الأخوة الاسلامية: «الاسلام يحكم بأن المؤمنين إخوة» لقوله تعالى: «إنما المؤمنون إخوة»(١) بمعنى أن المؤمنين على اختلاف أجناسهم وأقوامهم وتباعد بلادهم إخوة فى الدين والولاية، فالمؤمن أخ المؤمن ووليه، كما نص عليه قوله تعالى: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا»(٢) فهم إخوة لأن الإيمان بالله ورسوله وما أنزل إليه من الكتاب قد عقد بينهم من النسب والقرابة، كما يعقده النسب من الأخوة، وإن الاسلام لهم كالأب وهم جميعاً أبناء الاسلام(٣) وقد صدق الشاعر حيث يقول:

أبى الاسلام لا أب لى سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

ويقول الاسلام على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخ المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره»(٤).

ويؤكد سماحة الطرازى على ضرورة الوحدة قائلاً: وعن طريق هذه الأخوة الصادقة يدعو الاسلام أبناءه المسلمين القاطنين فى أرجاء العالم إلى الوحدة والتكتل، والتعاطف والتعاون، فهم يعبدون رباً واحداً، ويتبعون رسولاً واحداً، ويعملون بكتاب واحد، ويتوجهون نحو قبلة واحدة، ويأمرهم الاسلام بالإعتصام بحبل الله (وهو القرآن الكريم) وينهاهم عن التفرق وعما يكون سبباً للتفرقة، ليعيشوا متحدين متكتلين فى ظل القرآن الكريم دستورهم المقدس، وما بنى على أساس منه من الأحكام والقوانين(٥) حيث

---

(١) الآية رقم ١٠ من سورة الحجرات ـ وانظر كتاب «الاربعون الطرازية» لسماحة الطرازى ص٢١ ـ ٢٧.

(٢) الآية رقم ٥٥ من سورة المائدة.

(٣) اقرأ التفصيل فى كتاب «إلى الدين الفطرى الأبدى» لسماحة الطرازى فى جزأين، طبع على نفقة رابطة العالم الاسلامى فى القاهرة سنة ١٩٧٢م، ج٢ ص١٠٥ وما بعدهما ـ وكذلك انظر «الأربعون الطرازية» ص٢١ ـ ٢٧

(٤) رواه الامامان البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه. وانظر «إلى الدين الفطرى الأبدى» ص١٠٥

(٥) انظر كتاب «إلى الدين الفطرى الأبدى» لسماحة الطرازى ج٢ ص١٠٥

المسلمين، ولذلك يأمر الاسلام أتباعه المؤمنين بالتبين والتثبت والتأكد عن نبأ يأتى به كاذب عن قوم أو فرد، حتى لا يؤدى ذلك إلى إصابة القوم أو الفرد بالأذى عن غير علم بالحقيقة، وينتهى إلى الندامة بعد التفرقة بين أفراد المجتمع الاسلامى(١) فقد قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا، أن تصيبوا قوما بجهالة، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين»(٢).

ولا يخفى على المسلمين ما فى هذه النواهى والأوامر التى تتضمنها هذه الآيات البينات، من تعليمات قيمة وسياسة حكيمة، لها أثرها القيم فى حفظ حقوق الأخوة الاسلامية وبقاء وحدة العالم الاسلامى سليمة قوية، وحتى لا تكون فى المجتمع الاسلامى ثغرة يتسلل منها المفسدون، ويدخل منها الأعداء والمستعمرون للإفساد بين المسلمين(٣).

ويتحدث سماحة الطرازى عن أهمية المساواة بين المسلمين فيقول: وعن طريق هذه الأخوة والوحدة، ينظر الاسلام إلى أبنائه فى أقطار العالم نظرة المساواة، ويطبق حقوق المساواة ومبادئها على المسلمين كافة، بدون تفريق بين القريب والبعيد، والأمير والمأمور، والغنى والفقير، وبدون إمتياز عنصرى، بين العربى والأعجمى وبين الأبيض والأسود، فكلهم سواسية فى الحقوق، وأمام القضاء والعدالة(٤) فقد قال تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم» فالجميع من آدم وحواء فلا داعى للتفاخر فى الأنساب والتفاضل بين الأشخاص، وإنما المطلوب هو التعارف ليعرف بعضهم نسب بعض بحيث ينتسب كل إلى آبائه وقبيلته ويُعرف بها بين الناس، وأما الخصلة الوحيدة التى يفضل بها الإنسان المسلم على غيره، ويكتسب بها الشرف والكرم عند

---

(١) إلى الدين الفطرى الأبدى لسماحة الطرازى ج٢ ص١٠٨ ـ وانظر الديوان «مثنوى» لسماحة الطرازى ص١٥٣ ـ ١٧٢

(٢) الآية رقم ٦ من سورة الحجرات.

(٣) انظر «إلى الدين الفطرى الأبدى» لسماحة الطرازى ج٢ ص١٠٩

(٤) انظر الديوان «مثنوى» لسماحة الطرازى، تحت عنوان (المؤمن للمؤمن كالبنيان) ص١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧

تبغى حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينها بالعدل وأقسطوا، إن الله يحب المقسطين»(١).

كما أن الاسلام ينهى أبناءه عن أن يسخر قوم مسلمون من قوم مسلمين أو تسخر نساء مسلمات من نساء مسلمات، كما ينهى الاسلام أبناءه عن أن يعيب بعضهم بعضاً وعن التنابز بالألقاب، ذلك لأن المؤمنين كنفس واحدة، فإذا عاب المؤمن مؤمناً فكأنما عاب نفسه، فيقول الله تعالى: «إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون»(٢) وقد عد الاسلام (السخرية واللمز والتنابز بالألقاب) فسوقاً بعد الإيمان، لأنها تؤدى إلى التفرقة بين قوم وقوم فى المجتمع الاسلامى، مما يخل بسلامة الوحدة الاسلامية، فقد قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم، عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون»(٣).

وكذلك ينهى الاسلام عن سوء الظن فى شأن قوم أو فرد من المسلمين، ويأمر بالاجتناب عنه، لأنه إثم، وينهى عن كشف أسرار المسلمين ومعايبهم، بعضهم ضد بعض فيما بينهم، كما ينهى الاسلام المسلمين عن أن يغتاب بعضهم بعضا، ويعد الاغتياب مثل أكل لحم أخيه ميتاً وذلك تنفيراً عن هذه الجريمة، ويأمرهم بالتقوى، فقد قال الله تعالى فى ذلك: «يا أيها الذين آمنوا إجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه، واتقوا الله، إن الله تواب رحيم»(٤).

وإننا نسمع اليوم عن وجود خلافات بين بعض البلاد الاسلامية، لأسباب بسيطة وقد تكون من عمل الأعداء لغرس بذور الخلاف بين

---

(١) الآية رقم ٩ من سورة الحجرات.
(٢) الآية رقم ٩٢ من سورة الأنبياء.
(٣) الآية رقم ١١ من سورة الحجرات.
(٤) الآية رقم ١٢ من سورة الحجرات.